أخلاق الطبيب فى الإسلام

السيدعادل العلوى




بسم الله الرحمن الرحیم

اخلاق الطبیب فی الاسلام

کاتب:

عادل علوی

نشرت فی الطباعهٔ:

الموسسه الاسلامیه العامه للتبلیغ والارشاد

رقمی الناشر:

مرکز القائمیهٔ باصفهان للتحریات الکمبیوتریهٔ

الفهرس

اخلاق الطبيب فی الإسلام

اشاره

سرشناسه : علوی عادل - ۱۹۵۵ عنوان و نام پدیدآور : طالب العلم و السیره الاخلاقیه خصائص القائد الاسلامی فی القران الکریم اخلاق الطبیب فی الاسلام دوره الاخلاق المحمدیه فی تحکیم مبانی الوحده الاسلامیه رسالتنا/ تالیف عادل العلوی مشخصات نشر : قم الموسسه الاسلامیه العامه للتبلیغ و الارشاد، ۱۴۱۷ق = ۱۴۱۸ - ۱۳۷۵ق = ۱۳۷۶ [ج]۱۳۷۶ :۱. مشخصات ظاهری : ۵ ج در یک مجلدجدول فروست : (موسوعه رسالات اسلامیه الجزآ الثالث اخلاق شابک : ۱۵۰۰۰ریال یادداشت : عربی یادداشت : چهارمین عنوان مربوط به "کنفرانس بین المللی وحدت اسلامی (هفتمین شهریور: ۱۳۷۳)" است یادداشت : کتابنامه موضوع : احادیث خاص (مستغنیات اهل کل بلد) -- نقد و تفسیر موضوع : اخلاق اسلامی موضوع : طلاب -- اخلاق موضوع : فرماندهی (اسلام -- جنبه های قرآنی موضوع : پزشکان اسلامی -- اخلاق موضوع : اسلام -- تبلیغات موضوع : وحدت اسلامی شناسه افزوده : موسسه اسلامی تبلیغ و ارشاد شناسه افزوده : کنفرانس بین المللی وحدت اسلامی (هفتمین = ۱۳۷۳: تهران رده بندی کنگره : BP۱۴۵ /م۵ع۸ ۱۳۷۶ رده بندی دیویی : ۲۹۷/۲۱۸ شماره کتابشناسی ملی : م ۷۸-۸۵۹۰

الإهداء

إلی طبیب نفوسنا وحبیب قلوبنا الرسول الأعظم خاتم النبیّین محمّد (صلی الله علیه وآله) .

إلی العلماء المخلصین والأطباء الحاذقین ، الذین جعل الله علی عاتقهم حفظ سلامه الروح والجسد .

إلی کلّ من یحمل هموم المسلمین ، ویفکّر فی إصلاحهم وسعادتهم ، ویناضل من أجل علاج المجتمع ، وشفاءه من

الأمراض والأسقام الروحيه ، ونجاته من الانحطاط وتلوّثه بالأخلاق الذميمه .

إلى كلّ طبيب وطبيبه راجعتهما فى حياتى ، لمعالجه الأمراض الجسديه والقلبيه ، لى ولأُسرتى ، لا سيّما الدكتوره طاهره السماواتى والدكتور على الكاظمى الخالدى .

أُهدى هذا الجهد المتواضع شاكراً فضلهم وجهادهم وعلمهم ، سائلا من الله سبحانه لى ولهم التوفيق والسداد والرشاد ، إنّه سميع مجيب .

العبد

عادل العلوى

حوزه قم العلميه

المقدّمه

تأريخ الطب وفروعه

الحمد لله المعافى الذى قدّر الداء ودبّر الدواء ، وجعل إسمه دواء وذكره شفاء ، والصلاه والسلام على طبيب النفوس ومربّى الأرواح ومزكّيها ، محمّد المصطفى ، وعلى آله الأطهار ، الهداه الميامين أئمه الحقّ والدين وساده الخلق أجمعين.

أمّا بعد:

فإنّ الطبّ من العلوم القديمه[١] Medicine ، يعنى بدراسه الأمراض ومعالجتها والوقايه منها ، وهو أحد أقدم العلوم فى العالم ، أمّا متى وكيف كان مبدأ علم الطبّ وظهوره ، ففيه اختلاف بين أرباب التأريخ ، ففى سومر وُضع أوّل دستور أخلاقى للطبّ والجراحه ، وفى بابل وضع حمورابى أنظمه خاصّه بممارسه الطبّ . ولقد عرف قدامى الهنود حركه الدمّ والصله بين الجرذان والطاعون ، والصله بين البعوض والملاريا.

وكان للمصريين القدماء اهتمام خاصّ بعلم الشفاء . ومنذ أقدم العصور مارس الصينيون التطبيب بطريقه الوخز الأُبرى Acupunciune ، وأسهم اليونان إسهاماً كبيراً فى علم الطبّ ، وبقراط الذى ينسب إليه الطبّ عنى بالفحص السريرى ومهّد الطريق لفهم الجسم البشرى ، وإنّ أرسطو درس علم الأحياء وشرّح الحيوانات . وأنجبت الامبراطوريه الرومانيه جالينوس Galen الذى عُنى بدراسه علم التشريح وعلم الفيسيولوجيا.

وفى ظلّ الحضاره العربيه الإسلاميه وصفت أمراض جديده وركّبت أدويه نباتيه عديده ، ولمع نجم الشيخ الرئيس ابن سينا ومحمد بن زكريا الرازى ، وترجمت كتبهما كالقانون

والحاوى إلى اللاتينيه ، فكانت مرجعاً لطلاب الطبّ فى أوربا طوال قرون عديـده ولا زالت ، وفى عصـر أوربا برز اسم فيزيليوس Vesulius الـذى يعـدّ أبـا علم التشـريح الحـديث ، واكتشف وليم هـارفى Hurvey الـدوره الـدمويه ، واكتشـف إدورد جنر Jenner لقاحاً ضـدّ الجـدرى ، وفى القرن التاسع عشـر وثب الطبّ وثبات عريضه ، وقفزات سـريعه ، فاسـتخدم جوزيف ليستر Lister مضادّات العفونه ، واسـتخدم وليم مورتون Morton الأثير Ether كمخـدّر ، فكان بذلك بمثابه ثوره فى الجراحه ، وتعقّب لويس باستور Pasteur وروبرت كوخ Koch الجراثيم وأنشأ علم البكتريا ، ثمّ كان القرن العشرين فخطا طبّ النفس أو الطـبّ العقلى Psychiatny خطوات سـريعه وواسـعه إلى الأمـام ، وشـاع اسـتخدام المهـدّئات وعقـاقير السـلفا والمرديات والهرمونات الصنعيه والفيتامينات ، ولا يمرّ يوم إلاّ وتطالعنا الصحف ووسائل الإعلام بأنباء تطوّر جديد فى علم الطبّ.

وإنّ هذا العلم الجليل لا يزال يواكب المسيره الحضاريه والتقدّم والازدهار ، حتّى كاد أن يكون نتائجه وحاصـله أشـبه بالخوارق والكرامات ، ودخل فى عالم الكومبيوتر والتكنولوجيا الجديده وعصر الذرّه ، فأوجد ثوره علميه هائله.

---

[١] الطب لغه : علاج الجسم ، والنفس ، والرفق ، والسـحر . وفى الاصـطلاح : علم بأُصول تعرف بها أحوال أبدان البشر من جهه الصـحّه وعـدمها لتحفظ حاصـله ، وتحصل غير حاصـله ، وقد يقال بالاختصار : هو علم دفع الداء واجتنابه ، وقال الأقدمون : علم الشـفاء ، وهو بلا ريب أوّل علم سـعى الإنسان إلى تحصـيله على أثر سـعيه وراء الغذاء والكساء والمأوى . على أنّ هذا السعى لم يكن يتناول فى أوّل الأمر ، إلاّ ما برّح بظاهر الجسم من جرح وكسر وصدع وما أشبه ،

لأنّ الأدواء والأوبئه والعلل الباطنه ، لم تكن فى نظر الإنسان لأوّل عهده إلاّ عقوبات يقتصّ بها الخالق من المخلوق ، أو فواعل روح خبيثه ، أو عين شريره فيلجأ لدفعها إلى الكهانه والرقيه والنذر والقربان ، لأنّها لا تتأتّى عن سبب محسوس ، فلا يمكن دفعها بعلاج محسوس حاله كون الجرح وما هو من قبيله إن لم يكن ناشئاً عن فعل يد بشريه ، فالفاعل فيه سبب مشهود لا مانع من معالجته بيد البشر ولهذا سارت الجراحه شوطاً بعيداً أمام فروع الطبّ ، بل بلغت مبلغاً مذكوراً من الإتقان عند القدماء ، وهم لا يكادون يعرفون شيئاً من علاج الأمراض. (دائره المعارف ، البستانى ١١ : ٢٠٣) . ثمّ قال المصنّف:

وليس لدينا فى التأريخ ما يرشدنا إلى كيفيه تدرّج الاُمم القديمه فى مراقى التقدّم بهذا الفنّ ، ولا سيّما ما غمض تأريخها منهنّ كقدماء الصينيين والهنود والفرس ... ثمّ يذكر الطبّ عند البابليين وإنّهم وصلوا إليه بالتجارب ، ثمّ ازدهاره عند المصريين وكشفهم العقاقير والأدويه والحجامات والضمادات والمسهلات والمقيّئات ، ثمّ العبرانيين واليونانيين من عهد هوميروس وعظّموا الأطباء حتّى نسب الطبّ إليهم حتّى نظموا خيرون القنطورى طبيبهم الأوّل وتلميذه اسقليبيوس فى سلك الآلهه ، وشادوا لهما المعابد . واستمرّ الحال حتّى ظهر أبقراط المولود سنه ۴۶۰ قبل الميلاد فألّف وصنّف فى الطبّ ، حتّى لقّب بأبى الطبّ وذهب مذهب من تقدّمه أنّ العناصر أربعه ، وأنّ الأمزجه أربعه أيضاً دمويه وبلغميه وصفراويه وسوداويه ، وإنّه يجب على الطبيب أن يراقب المرض فى سيره منذ ظهوره إلى نهايته ، وإنّ الأمراض تتأتّى عن الغذاء والهواء فينبغى أن نتحرّى أسبابها فى الماء والهواء

والمنـازل والفصول وألّف فى ذلك كتابه « الماء والهواء والأمكنه» وكتب فى الأمراض الحادّه وألّف كتابه « الفصول» وأودع فيه حكمته القائله : « الصناعه طويله والعمر قصير والوقت ضيّق والتجربه حظر والقضاء عسر» ، وله تآليف كثيره ، ثمّ نبغ جالينوس فى الطبّ من الرومانيين المولود سنه ١٣٠ بعد الميلاد وهو القائل : « إنّ الإنسان إلى اجتناب ما يضرّه أحوج منه إلى تناول ما ينفعه» ، وألّف كثيراً فى الطبّ والفلسفه وشرح تآليف أبقراط ، ثمّ بزغ شموس الطبّ من بين المسلمين كمحمد بن زكريا الرازى والفارابى والشيخ الرئيس ابن سينا حتّى قيل : « كان الطبّ معدوماً فأوجده أبقراط ، وميّتاً فأحياه جالينوس ، ومتفرّقاً فجمعه الرازى ، وناقصاً فكمّله ابن سينا البخارى» . وبُنيت المستشفيات فى زمن الخلفاء العباسيين قبل أوربا بقرون ، كما تكلّم النبىّ الأكرم محمد وأهل بيته الأطهار فى الطبّ والمعالجات ، والتأريخ يشهد على ذلك.

تقسيم الطبّ :

لقد فرّع علماء الطبّ علمهم إلى فروع وتقسيمات عديده ، إلاّ أ نّه فى علم الطبّ الحديث تنتظم فروع الطبّ الرئيسه إلى:

١ ــ دراسه الجسم البشرى.

٢ ــ الأمراض وعلاجها.

أمّا الأوّل فيتمّ من طريق علم التشريح Anatomy الذى يعنى بدرس بنيه الجسم الأساسيه ، وعلم الفيسيولوجيا Physiology الذى يعنى بدراسه وظائف الأعضاء ونشاطاتها ، وعلم التشريح Histology الذى يعنى بدراسه أنسجه الجسم.

وأمّا الثانى فتتمّ دراسته من طريق علم الأمراض أو الباتالوجيا Pathology الذى يبحث فى طبيعه الأمراض وأسبابها وتطوّرها ، وأمّا معالجه الأمراض فيلزم أن نلمّ بعلم العقاقير Pharmacology ، وبراعه فى الجراحه Surgery.

ومن فروع علم الطبّ أيضاً طبّ النفس أو الطبّ العقلى وهو يعنى بمعالجه

الاضطرابات العقليه . وعلم المناعه Immunology وهو يدرس

ظواهر المناعه من الأمراض وأسبابها . وعلم البكتيريا Bacteriology وهو يدرس الجراثيم وعلاقتها بالأمراض ، والطبّ الوقائى Preventive Medicine وهو يبحث فى أساليب الوقايه من الأمراض ، ويحتلّ اليوم مكاناً بارزاً فى الطبّ الحديث ، وقد عرفه الإنسان منذ عهد بعيد عندما عرف ضروره عزل المصابين بالأمراض المعديه دفعاً لانتشار هذه الأمراض ، ولكنّه لم ينشأ بمعناه الدقيق إلاّ فى أواخر القرن الثامن عشر عندما استحدث جَنَر Jenner التقيح . ثمّ خطا خطوات واسعه عندما كشف باستور فى أواخر القرن التاسع عشر دور الجراثيم فى الإصابه بمختلف الأمراض ، وفى مطلع الثلاثينيات من القرن العشرين استحدثت عقاقير السلفا ثمّ المرديات Antibiotics فلعبت دوراً كبيراً فى معالجه الأمراض والوقايه منها ، وفتح استخدام أشعّه أكس والموادّ ذات النشاط الإشعاعى فى تشخيص الأمراض (كالسلّ والسرطان) ومعالجتها آفاقاً جديده فى حقل الطبّ الوقائى[١].

ومن فروع الطبّ : الطبّ الشرعى ، وهو يعنى بدراسه بعض المشكلات القانونيه والقضائيه فى مثل إثبات البنوّه والجنون ، وتحديد الإصابات ومدى خطورتها ، وتشريح الجثث لتعيين أسباب الوفاه الناشئه عن أعمال العنف على اختلافها . وقد عرف الطبّ الشرعى فى أوربا منذ القرن السادس للميلاد ، وفى عام ١٥٣٢ م أجاز قانون العقوبات الصادر فى عهد الامبراطور شارل الخامس (شارلمان) استعانه القضاه بشهاده الأطباء فى حالات القتل والجرح والتسميم والشنق والإجهاض وغيرها . ونشر أوّل كتاب ضخم فى الطبّ الشرعى الأوربى سنه ١٦٠٢ للطبيب الإيطالى فورتوناتو فيديلى Fortunato Fedele ، وفى سنه

١٨٠٨ اُنشئ فى جامعه أدنبره كرسى خاصّ بتدريس الطبّ الشرعى[٢].

وهناك فروع وتشعّبات للطبّ ، منها باعتبار التخصّص فى أعضاء الجسد كطبّ الأسنان[٣] وطبّ الأسنان الترقيعى[۴] وطبّ العيون والقلب وغير

ذلـك ، ومنهـا طبّ الأطفال[٥] والطبّ الـبيطرى[۶] لمعـالجه الحيوانـات ، والطبّ الجوى[٧] ، والطـبّ السـيكوسوماتى أى الطبّ الجسدى النفسى[٨] ، والطبّ الشعبى[٩] الـذى يكون التداوى فيه بالأعشاب والنباتات ، وطبّ النساء[١٠] يتعلّق بالجهاز التناسلى وما يختصّ بالنساء.

ثمّ يعـدّ علم الطبّ من الصـناعات أيضـاً ، لأـنّه (عُرّف الطبّ لغهً : بعلاـج الجسم والنفس ، واصـطلاحاً : يطلق على معرفه أدواء المرضـى ومعـالجتهم ، فهـو علم لأـنّه دراسه أوّلا ـ، وفنّ بطريقه ممارسـته تبعـاً لنـاموس الارتقـاء ، وهو صـناعه لأـنّه مورد رزق لمحترفيه)[١١].

كما هو فنّ من الفنون ، ويرى ابن أبى اُصيبعه : أنّ اختراع هذا الفنّ لا يجوز

نسـبته إلى بلد خاصّ أو مملكه معيّنه أو قوم مخصوصين ، إذ من الممكن وجوده عند اُمّه قد انقرضت ولم يبقَ من آثارها شىء ، ثمّ ظهر عند قوم آخرين ، ثمّ انحطّ عندهم حتّى نسى ، ثمّ ظهر على أساس هؤلاء لدى غيرهم ، فنسب إليهم اختراعه أو اكتشافه.

هذا ... وثمّه رأى آخر يقول : إنّ صناعه الطبّ مبدؤها الوحى والإلهام ، وقد قال الشيخ المفيد قدّس الله نفسه الزكيّه:

« الطبّ صحيح والعلم به ثابت ، وطريقه الوحى ، وإنّما أخذه العلماء به عن الأنبياء ، وذلك أ نّه لا طريق إلى علم حقيقه الداء إلاّ بالسمع ، ولا سبيل إلى معرفه الدواء إلاّ بالتوفيق ...»[١٢].

والظاهر أنّ تأريـخ الطبّ يرجع إلى تأريـخ الإنسان ، فولـد معه ، فإنّه عانى من الـداء ووفّق بإلهام من الله إلى كثير من الاُمور التى يمكن أن تعتبر دواء ، وربما كان معظمه من إرشادات الأنبياء (عليهم السـلام) ، وبعضه من التجارب أو الصـدفه أو الفكر والتأمّل فى

الأشياء وطبائعها ، وما يتلائم مع طبيعه الإنسان وما بينهما التنافر.

وقد ذكرنا مجمل السير التأريخى لعلم الطبّ المدوّن بالخصوص عند الاُمم السالفه من المصريين والكلدانيين والبابليين والهنود والصينيين والفرس واليونان والرومان ، وعند العرب قبل الإسلام ، فإنّ الطبّ كان ولا يزال يقطع مراحل طفولته وكان العرب فى علم الطبّ خاصّه أضعف من سائر الاُمم[١٣].

إلّا أ نّه بعد الإسلام ، فقد نشط عند المسلمين الحركه الطبيّه وفاقوا كثير من الاُمم ، فإنّ الإسلام يعتبر العلم علمان : علم الأديان وعلم الأبدان ، ويرى الطبّ وظيفه شرعيه ، وأحد الواجبات التى لاـ يمكن التساهل فيها ، وأ نّه من الواجب الكفائى ، فإن لم يتصدّ من به الكفايه والقدره ، فإنّه يأثم الجميع.

وقد خلّف لنا النبىّ الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) وأهل بيته الأئمه الأطهار (عليهم السلام) ثروه عظيمه فى الطبّ والعلاج تتّسم بالشموليه والعمق والدقّه ، ولا بدّ لنا من دراسه وسيعه وعميقه لتلك الثروه العلميه الهائله واستخراج الكنوز الرائعه والحقائق الناصعه تنفع البشريه جمعاء ، والإسلام دين الله الحنيف هو العامل الأساسى فى تفجير الطاقات المكمونه فى النفوس ، وتحقيق الطموحات التى تكمن فى الإنسان ، فإنّ الإسلام دين الفطره التى تتلائم مع العقول الإنسانيه والنفوس البشريه.

فعلم الطبّ بعد ظهور الإسلام كان يعتبر فى كلّ البلاد الإسلاميه شرقها وغربها ، من أرفع العلوم شأناً ، وأسماها مقاماً ، ثمّ كان للمسلمين بحوث قيّمه وعميقه فى الطبّ ، وقد طوّروا علمه وفنّ الجراحه إلى أعلى الدرجات[١۴] . وبقيت أوربا تعتمد على تصانيف المسلمين فى الطبّ والجراحه حتّى الأزمنه المتأخّره ، فإنّ الرازى اكتشف السبيرتو (الكحول) وأسيد السولفوريك ، وشرح تشعّبات الأعصاب فى

الرأس والرقبه بشكل واضح ، واكتشف الطبّ المفصلی ، وعشرات من الخدمات الطبيه ، كما جاء فی تأريخ الطبّ.

ولقد سبق الرازی فی اكتشاف الحركه الدمويه هارفی الذی لا يزال الكثيرون يهلّلون ويكبّرون ويهتفون باسمه ، علی أ نّه هو مكتشف الدوره الدمويه ، وقد سبق بها غيره.

بل الحقيقه أنّ الإمام الصادق (عليه السلام) هو أوّل من نبّه إلی حقيقه الدوره الدمويه وشرحها وأوضحها بشكل واف وكامل ، كما أثبته الخليلی فی كتابه « طبّ الإمام

الصادق (عليه السلام)»[١٥].

هذا وعدد الأطباء طيله فتره الحكم الإسلامی كثير جدّاً لا يمكن حصره ، ولا استطاع مؤلّفو الموسوعات والتراجم حتّی ذكر أسماء أقلّ القليل منهم ...

ويكفی أن نذكر : أ نّهم قد أحصوا أطباء بغداد وحدها فی زمن المقتدر بالله من الخلفاء العباسيين سنه ٣٠٩ وامتحنوهم ، فأُجيز منهم ٨٦٠ طبيباً ، فأعطوهم الإذن فی التطبيب ، سوی من استغنی عن الامتحان لشهرته ، وسوی من كان فی خدمه السلطان.

وكان سيف الدوله إذا جلس علی المائده حضر معه أربعه وعشرون طبيباً ، وكان فيهم من يأخذ رزقين لأجل تعاطيه علمين . وكان فی خدمه المتوكّل ٥٦ طبيباً.

وكان يخدم فی المستشفی العضدی ٢٤ طبيباً من مختلف الاختصاصات ، وحين بنی المعتضد المستشفی أراد أن يكون فيه جماعه من أفاضل الأطباء وأعيانهم ، فأمر أن يحضر له لائحه بأسماء الأطباء المشهورين حينئذ ببغداد وأعمالها ، فكانوا متوافرين علی المئه فاختار منهم نحو خمسين[١٦] ...

ويمكن أن يقال أنّ أوّل مستشفی خصّص لنزول المرضی ومعالجتهم بعد ظهور الإسلام كان مسجد رسول الله فی المدينه المنوّره منذ عهد الرسول (صلی الله عليه وآله) ، وكان الرسول والصحابه يتفقّدون المرضی النازلين به ، وكان فی المسجد

خيمه لرفيده أو كعيبه بنت سعيد تداوى فيها الجرحى[١٧].

فالإسلام العظيم دين الله القويم الشامل لكلّ ما فيه سعاده الإنسان وتكامله

فى إنسانيّته وفوزه برضا الله سبحانه ، وذلك بكلّ دقّه وشمول لجميع حقول الحياه وشؤون الإنسان ومختلف أحواله ، سياسيه كانت ، أو ثقافيه أو فرديه أو اجتماعيه أو غير ذلك ، ولم يغفل عن الإنسان حتّى فى مأكله ومشربه ومشيه وجلوسه وصوته ، وحتّى تقليم أظفاره ، وترجيل شعره فى كمّه وكيفه.

ومن هذا المنطلق اعتبر علم الطبّ من أهمّ العلوم ، وأنّ الطبّ مسؤوليه دينيه ووظيفه شرعيه ، وواجباً كفائياً ، يأثم ويعاقب الكلّ على تركه ، ويسقط عنهم بقيام بعضهم به ، كما جاء ذلك فى النصوص الشرعيه من الكتاب والسنّه.

وليس الطبّ وظيفه شرعيه ، بل ضروره اجتماعيه وتحتّم إنسانى ورساله أخلاقيه ومسؤوليه عقليه ، كما على كلّ ذلك الشواهد الكثيره والواضحه.

ثمّ على الطبيب من يومه الأوّل ، وأيامه الاُولى فى كليه الطبّ ، أن يتحلّى أوّلا قبل تعلّمه الطبّ بجميع مواصفات الإنسان المسلم ، الذى يمثّل الإسلام وعياً وعمقاً وخلقاً وسلوكاً ، ويعيش أهداف الإسلام وتعاليمه وقيمه بكلّ جهات وجوده ومختلف شؤون حياته.

فعليه أن يزكّى نفسه ويتحلّى بالأخلاق الساميه والصفات الحميده ، ويتجنّب الرذائل ومساوئ الأخلاق وما يتنافى مع الفطره السليمه.

هذا ومقصودنا من هذه الرساله المختصره أن نشير إلى أهمّ الصفات الحميده والأخلاق الطيّبه التى على الطبيب الحاذق أن يتحلّى ويتّصف بها ، وذلك من خلال النصوص الإسلاميه ، وفى رحاب الإسلام الحنيف ، وجعلتها فى مقدّمه وفصول ثلاثه وخاتمه ، ومن الله التوفيق والسداد.

---

[١] خلاصه مع تصرّف من كتاب موسوعه المورد ٦ : ٢٢١.

[٢] المصدر : ١٠٣.

[٣] موسوعه المورد ٣ : ١٧٧.

[٤]

المصدر ۸ : ۸۸ .

[۵] المصدر ۷ : ۲۲۰.

[۶] ۱۰ : ۹۲.

[۷] ۱ : ۴۶.

[۸] ۸ : ۹۲.

[۹] ۴ : ۱۴۶.

[۱۰] ۵ : ۵۰. ۱۱] أخلاق الطبيب : ۱۸ ، عن كتاب فلسفه الطبّ للدكتور حسنى سبح.

[۱۲] الآداب الطبيه فى الإسلام : ۱۰ ، عن بحار الأنوار ۶۲ : ۷۵.

[۱۳] المصدر : ۲۶.

[۱۴] المصدر : ۴۸.

[۱۵] الآداب الطبيه : ۵۰.

[۱۶] المصدر : ۶۳ ، عن عيون الأنباء : ۳۰۲.

[۱۷] المصدر : ۷۰.

الفصل الأوّل: أخلاق الطبيب فى رحاب الدين الإسلامى

إنّ الله جلّ جلاله هو الطبيب الأوّل ، فهو المعافى والمشافى ، وقد ورد فى نصوص الأدعيه : « يا من اسمه دواء ، وذكره شفاء»[۱] ، بيده أزمّه الاُمور طرّاً ، وهو القادر على كلّ شىء ، وهو العليم الحكيم.

خلق الإنسان وعلّمه البيان ، وركّبه من روح وجسد ، وابتلاه فى جسده بالأسقام والأمراض ، واختلاف المزاج واعتداله وصحّته ، كما شاءت حكمته أن يبتليه بالصفات الذميمه والسجايا الحميده ، فهداه النجدين ، إمّا شاكراً وإمّا كفوراً ، فإنّ الدنيا دار الامتحان والابتلاء:

(لِيَبْلُوَكُمْ أ يُكُمْ أحْسَنُ عَمَلا)[۲].

ثمّ من اللطف الرحمانى أنزل إليه الكتب السماويه ، وبعث إليه الرسل والأنبياء ليهتدى إلى ما فيه الخير والصلاح ، وسعادته فى الدارين.

فعلّمه علم الأديان وعلم الأبدان ، وقرّر لسـلامه روحه من الأمراض النفسـيه والأخلاق الذميمه ، شـريعه سـمحاء تتمثّل بالصـحف الإلهيه ، وبهدايه الأنبياء (عليهم السـلام) ، وورثتهم كعلماء الأخلاق ، كما علّمه ما يعالج به أمراضه الجسديه من خلال تشخيص الأطباء ، الذين تشرّفوا بمظهريّتهم لاسمه الشافى والمعافى والطبيب والمحيى جلّ جلاله.

قال الله تعالى:

(وَمَنْ أحْياها فَكَأ نَّما أحْيا النَّاسَ جَميعاً)[٣].

والطبيب إنّما هو مظهر اسم الله المحيى والطبيب الشافى ، وإنّ الطبيب بمنزله ماء

الرحمه لمرضاه ، وهو الوسيط بين الرحمه الخالقيه وافتقار المخلوق.

الإنسان ثمره شجره الوجود ، لقد كرّمه الله سبحانه ، وتمدّح بخلقه ، وسخّر له كلّ شيء ، وجعله خليفته في أرضه.

هذا الإنسان العظيم الكائن الذي لا يزال مجهولا ، معرّض للأمراض والأسقام ، والمتولّي لمعالجته ومراقبه سلامه بدنه إنّما هو الطبيب.

وقيل في تعريف علم الطبّ وبيان موضوعه : « موضوع علم الطبّ بدن الإنسان ، ومن البديهيات أنّ هذا الموضوع في عالم الكون والفساد أجلّ وأشرف من سائر الكائنات ، فلا جرم العلم به أجلّ وأشرف من سائر العلوم ، لا سيّما إذ ورد به الخبر المأثور عن النبيّ (صلى الله عليه وآله) حيث قال : العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان» وقدّم علم الأبدان على علم الأديان ضروره أنّ اكتساب سائر العلوم يحتاج إلى فهم سليم ومزاج مستقيم ، فاحتجنا ضروره إلى علم يحفظ به الصحّه وهو علم الطبّ»[۴].

والإنسان بطبعه مدني ، يحتاج إلى تشكيل المدينه الفاضله التي يسودها العدل والحريه والأمن والسعاده ليتكامل فيها ، ويصل إلى اُنشودته ، وما خلق من أجله.

فهيكل الاجتماع المتكوّن من أفراد المجتمع لسلامته يفتقر إلى حكومه العدل الإلهي ، ولسلامه أبدان أفراده إلى طبيب حاذق ، ولسلامه أرواحهم إلى عالم بصير متّقي.

قال إمامنا الصادق (عليه السلام) : لا يستغني أهل كلّ بلد عن ثلاثه يفزع إليه في أمر دنياهم وآخرتهم ، فإن عدموا ذلك كانوا همجاً : فقيه عالم ورع ، وأمير خير مطاع ،

وطبيب بصير ثقه.

فهؤلاء عمده الأركان واُصول سعاده المجتمع ، وإن كان هناك عوامل اُخرى لسعاده المدينه الفاضله كالتاجر الأمين والعامل المخلص والفلّاح الموفّق وغيرهم.

فسلامه البدن من وسائل التقدّم والازدهار ، ويقول الله

سبحانه فى حقّ نبيّه عيسى ويحيى:

(وَالسَّلامُ عَلَيْهِ يَوْمَ وُلِدَ)[۵].

أى سلامه المولود ، فهى تعين الإنسان على سيره وسفره فى أسرار الطبيعه وخزائن الكون.

وكمال الإنسان وطىّ مراحله العقليّه إنّما من عوامله الهامّه سلامه الجسد ، فإنّ البدن السقيم يشكل عليه الفكر المستقيم ، وإنّه بسفينته السليمه ومركبه السالم ـ أعنى بدنه ـ إنّما يمكنه أن يخوض فى بحار الوجود.

والمتكفّل لسلامه البدن وحفظه هو علم الطبّ الشريف . وإنّما أورث الله علم الطبّ الطبيب ، فأىّ نعمه للطبيب أعظم من هذه ، وأىّ موهبه أجمل من هذه.

أليس شكرها على الطبيب أن يتواضع لمريضه ، ويحسّ بآلامه وأسقامه ، فيتعامل معه بأخلاقه الحسنه وأنفاسه الطيّبه ، فإنّ نشاطه وانبساطه ونظراته تؤثّر فى أعماق المريض وقلبه ، وكذا انقباضه وسوء خلقه وسريرته ، حتّى ثوبه الأبيض يفرّق بصره ويدخل السرور عليه ، كما أنّ الأسود قابض للبصر ، يجلب الحزن.

وما أكثر علاج الأمراض بخلق الطبيب الحسن ، وتدبيره النفسانى ، وتأثير كلامه الروحانى ، ولطافه روحه.

ولا يكفى العلم فى إصلاح المجتمع والنفوس البشريه ، بل لا بدّ أيضاً من العمل

الصالح ، فإنّما يُحلّق الإنسان فى آفاق السعاده بجناحى العلم النافع والعمل الصالح ، فلا بدّ من تربيه النفس وإصلاحها وتعديل الغرائز والميول والعواطف ، ولولا ذلک لكان كالأنعام بل أضلّ سبيلا . ولمثل هذا أنزل الله الكتب وأرسل الرسول وبعث الأنبياء ، ومن ثمّ الأوصياء وخلفائهم العلماء الصلحاء ، فمقصودهم تربيه الإنسان تربيه صحيحه ليعيش بمعرفه وحياه طيّبه وسير تكاملى نحو الكمال المطلق ومطلق الكمال وهو الله سبحانه ، وإلى الله ترجع الاُمور:

(وَإِنَّکَ كادِحٌ إلى رَبِّکَ كَدْحاً فَمُلاقِيهِ)[۶].

وإلى الله المنتهى وإليه راجعون.

فلا بدّ من علم الأخلاق والحكمه العمليه ،

والأخلاق عباره عن تزكيه النفس وطهارتها من الرذائل والذمائم والسجايا السيّئه ، وتحلّيها بالأخلاق الحميده والمكارم والمحاسن والكمالات الخُلقيه ، وتجليتها لنيل سعادتها الأبديه.

والأخلاق جمع الخلق وهو بمعنى الفطره والخلقه والطبيعه:

(فِطْرَةَ اللهِ الَّتى فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْها)[٧].

وبالفطره السليمه يمكن للإنسان أن يطوى مراحل السعاده لولا تأثير الأبوين والبيئه والمجتمع الفاسد ، فعن النبىّ الأكرم محمّد (صلى الله عليه وآله) : « كلّ مولود يولد على الفطره ، إلاّ أبواه يهوّدانه أو ينصّرانه أو يمجّسانه».

وموضوع علم الأخلاق نفس الإنسان ، الذى بعث الأنبياء من أجل تكميل مكارم أخلاقها ، وهدايتها إلى فلسفه خلقتها ، ومبدئها ومعادها ...

وكلّ واحد من الناس عليه أن يبدأ أوّلا من نفسه وباطنه ، لأنّ الله قد جعل فيه رأس المال الأخلاقى ، كما فى قوله تعالى:

(فَأَلْهَمَها فُجورَها وَتَقْواها)[٨].

ويقول أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام) : « من لم يعن على نفسه حتّى يكون له منها واعظ وزاجر ، لم يكن له من غيرها زاجر ولا واعظ»[٩].

فلا بدّ من إعانه النفس على إصلاحها بضمير حىّ ووجدان واع ، ومن توفيقات الله أن يكون للإنسان واعظ من نفسه ، وأنّ وجدان الإنسان خير محكمه لا يحتاج فيها إلى قاض.

« كفاك أدباً لنفسك اجتناب ما تكرهه من غيرك» ، « أحبب لأخيك ما تحبّ لنفسك».

فالسعاده إنّما تتمّ بتأديب النفس وإصلاحها ، ومكمّل علم الإنسان عمله ، ولا خير فى علم لا عمل فيه.

ومن أصلح سريرته فإنّه يفوق الملائكه ، ومن تبع شهوته وغلبه هواه ، فإنّه يكون أضلّ من الحيوانات.

ثمّ بين الطبّ والأخلاق علاقه وثيقه ، فإنّ الطبّ لسلامه البدن وهو المركوب ، والأخلاق لسلامه الروح وهو الراكب ، فلا بدّ منهما ، وربما لمثل هذه

العلاقه الوثيقه ورد فى الخبر « العلم علمان : علم الأبدان وعلم الأديان».

فالطبّ حافظ الجسم ، والأخلاق تحامى الروح ، والأوّل يلطّف الأجواء الفيزياويه ، والثانى يساعد على تحسين الروابط الاجتماعيه . فالتغافل عن أحدهما يساوى التعاسه فى الحياه.

والأنبياء وورثتهم كما كانوا يهدون الناس إلى الصراط المستقيم ، كانوا يعالجون الناس فى أجسادهم ، فتوارثنا كتب طبّيه ، كطبّ النبىّ وطبّ الإمام الصادق وطبّ الرضا وطبّ الأئمه (عليهم السلام) . فهى مجموعه دساتير طبّيه وعلاجيه.

وحينما عنونّا رسالتنا هذه « أخلاق الطبيب فى الإسلام» إنّما نشير إلى علمين شريفين متقارنين ، أحدهما يتعلّق بجسم الإنسان والآخر بروحه ، وهما علم الطبّ وعلم الأخلاق.

والطبّ من علوم الدنيا والأخلاق من علوم الآخره ، كما جاء إشاره ذلک فى الحديث النبوىّ الشريف : « إنّما العلم ثلاث : آيه محكمه ، وسنّه قائمه ، وفريضه عادله» ، أى علم الكلام وعلم الأخلاق وعلم الفقه ، فإنّ الذى يتكفّل تهذيب نفس الإنسان ، وصيقله روحه ، وتنوير قلبه ، وسلامه فطرته ، هو علم الأخلاق.

والرسول الأعظم خاتم النبيّين محمد (صلى الله عليه وآله) يشير إلى فلسفه بعثته فى قوله الكريم : « إنّما بُعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق» ، وإنّ الله قد مدح خُلقه فى قوله تعالى:

(وَإِنَّکَ لَعَلى خُلُق عَظيم)[١٠].

وإنّ عائشه قالت فى بيان خلق النبىّ : « وكان خلقه القرآن» ، فكان (صلى الله عليه وآله)يجسّم ويمثّل القرآن الكريم ، والله سبحانه قد أعطى المعجون الأوّل لتربيه الإنسان فألهمه الخير والشرّ بفطرته السليمه:

(فَأَلْهَمَها فُجورَها وَتَقْواها)[١١].

وهذا الإلهام يُعدّ الرأس المال الأوّل لعلم الأخلاق ، ومن عمل بما علم أورثه الله علم ما لا يعلم ، ومن سار فى آيات الله الآفاقيّه

والأنفسيّه يتبيّن له الحقّ ، ويصل إلى قمّه الكمال وذروه السعاده الأبديّه ، قاب قوسين أو أدنى.

قال الله تعالى:

(يا أيُّها الَّذينَ آمَنوا هَلْ أدُلُّكُمْ عَلى تِجارَه تُنْجيكُمْ مِنْ عَذاب أليم تُؤْمِنونَ بِاللهِ وَرَسولِهِ وَتُجاهِدونَ فى سَبيلِ اللهِ بِأمْوالِكُمْ وَأنْفُسِكُمْ ذلِكُمْ خَيْرٌ لَكُمْ إنْ كُنْتُمْ تَعْلَمونَ)[١٢].

(الَّذينَ يَذْكُرونَ اللهَ قِياماً وَقُعوداً وَعلى جُنوبِهِمْ وَيَتَفَكَّرونَ فى خَلْقِ السَّماواتِ وَالأرْضَ رَبَّنا ما خَلَقْتَ هذا باطِلا سُبْحانَكَ فَقِنا عَذابَ النَّارِ)[١٣].

(ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبَ)[١٤].

فمن يؤمن بالمبدأ والمعاد ويذكر الله على كلّ حال وفى جميع الأحوال ، فإنّه يطمئنّ قلبه ويسعد فى حياته:

(إنَّما الحَياهُ الدُّنْيا لَعِبٌ وَلَهْوٌ)[١٥].

(وَما الحَياهُ الدُّنْيا إلاّ مَتاعُ الغُرورِ)[١٦].

فمن غفل عن الله ويوم القيامه:

(يَعْلَمونَ ظاهِراً مِنَ الحَياهِ الدُّنْيا وَهُمْ عَنِ الآخِرَهِ غافِلونَ)[١٧].

فإنّ له معيشه ضنكاً ، وله فى الآخره عذاب أليم.

فالإنسان بإمكانه واختياره أن يتصبّغ بصبغه الله جلّ جلاله ، فيما لو تخلّق بأخلاق الله ، كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) : « تخلّقوا بأخلاق الله» ، ومن كان مظهراً لصفات الله وأسمائه الحسنى فإنّه يتخلّد فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

وأمّا الحياه البشريه فلا ريب أنّ فيها الخير والشرّ والصلاح والسوء والحقّ والباطل والعقل والجهل ، ولكلّ منهما جنود كما ورد فى الأخبار المرويه عن أهل البيت (عليهم السلام)[١٨].

والإنسان قد جعل فى مفترق طرق لينتخب باختياره معسكر الخير أو معسكر الشرّ ، فلا جبر ولا تفويض بل أمر بين أمرين[١٩].

فكان الخير والشرّ ، وهذا ما يحكم به العقل ويؤيّده النقل ، فليس الخير ما كان خيراً عند الشرع وحسب كما عند الأشاعره ، بل نعتقد بالحسن والقبح الذاتيين العقليين ، وإنّ الإنسان على نفسه بصيره ، ولو ألقى معاذيره ، كما إنّه ليس للإنسان

إلاّ ما سعى ، وإنّ الله خلق النفس وألهمها فجورها وتقواها ، وإنّه يقسم فى قوله:

(وَلا أُقْسِمُ بِالنَّفْسِ اللَّوّامَه)[٢٠].

وإنّما النفس تلوم نفسها لعلمها بالخير والشرّ عقلا ، إلاّ أنّ الإنسان لا يمكنه

بعقله أن يطوى مراحل الكمال والهدايه والصعود إلى الدرجات الرفيعه والمقامات العاليه ، بل هلك من لم يكن له حكيم يرشده ، فيحتاج إلى معلّم ومربّى يأخذ بيده ليوصله إلى شاطىء السعاده وسواحل السلامه.

فيحتاج الإنسان إلى دين إلهى ، وقوانين رصينه من الشريعه السماويه السمحاء ، فإنّ الشيطان جالس له بالمرصاد ليغويه عن الصراط المستقيم:

(لأُغْوِيَنَّهُمْ أجْمَعينَ إلاّ عِبادَكَ مِنْهُمُ الُمخْلِصينَ)[٢١].

فالرحمه الإلهيه واللطف الربانى اقتضى أن يرسل الله الأنبياء والمرسلين لهدايه الناس وليقوموا بالقسط والعدل ، ويعلّموا الناس الأخلاق ويهدوهم إلى الحقّ ويتمّموا لهم مكارم الأخلاق.

لقد تقدّم العلم الحديث فى الصناعه والتكنولوجيا وازدهر وتطوّر ، إلاّ أنّ البشريه أصابها الانحطاط الخلقى والفساد الاجتماعى ، لتخلّفهم عن الأديان السماويه واستدبارها ، فتفكّكت الأُسر ، وتهاوت صُرح الإيمان ، وتلاشت أبنيه المعتقدات الدينيه ، واندثرت معالم الأخلاق الإنسانيه ، فترى الناس سكارى وما هم بسكارى ، كلّ يجرّ النار إلى قرصه ، ويتكالب مع بنى نوعه على حطام الدنيا ، ويوماً بعد يوم تزداد مشاكل البشريه ، والكلّ ينتظر بلهفه وحرقه يوم الخلاص ...

وممّا يعيد السعاده الإنسانيه إلى العالم البشرى هو رجوعنا إلى الأخلاق والمثل العليا والحكمه المتعاليه.

والحكمه إمّا نظريه وإمّا عمليّه ، والثانيه التى تعنى (فلسفه الأخلاق) قد قسّمها علماء الأخلاق إلى ثلاثه مراحل:

١ ــ تهذيب النفس.

٢ ــ تدبير المنزل.

٣ ــ سياسه المدن.

وبهذا المثلّث يسعد الإنسان ، وربما الآيات القرآنيه تشير إليها فى قوله تعالى:

(عَلَيْكُمْ أنْفُسَكُمْ لا يَضُرُّكُمْ مَنْ ضَلَّ إذا اهْتَدَيْتُمْ)[٢٢].

(قُوا أنْفُسَكُمْ وَأهْليكُمْ

ناراً وَقودُها النَّاسُ وَالحِجارَهُ)[٢٣].

(فَاصْدَعْ بِما تُؤْمَرْ وَأعْرِضْ عَنِ المُشْرِكينَ إنَّا كَفَيْناكَ المُسْتَهْزِئينَ)[٢۴].

فالإسلام ينظّم حياه الإنسان ، وإنّ كتابه المقدّس القرآن الكريم ، مصدر تشريعه الذى لا رطب ولا يابس إلاّ فى كتاب مبين ، فيه تبيان كلّ شىء ، فإنّه يدعو إلى سلامه الروح والجسد ، فكما يقول سبحانه:

(قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكَّاها)[٢۵].

(يُزَكَّيهِمْ وَيُعَلِّمْهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَهَ)[٢۶].

كذلك يشير إلى أصل طبّى فائق فى قوله تعالى:

(كُلوا وَاشْرَبوا وَلا تُسْرِفوا).

ثمّ النبىّ الأكرم وأهل بيته يفسّرون لنا الآيات القرآنيه ، ويذكرون مصاديق

كلّياته ، ويشرحون لنا مفهوم الإسراف وجزئياته ، وإنّ المعده اُمّ الأمراض.

فالإسلام يدعو معتنقيه إلى الأخلاق الطيّبه ، إلاّ أ نّه تاره يدعو بصوره عامّه ، وربما يصحّ لو أطلقنا على دعوته الأخلاقيه والإصلاحيه العامّه ب_ (أخلاق عامه) كالتواضع فإنّه حسن من كلّ أحد ، واُخرى يدعو إلى أخلاق خاصّه تتعلّق بطبقات خاصّه من المجتمع ، فإنّه لمكانتهم الاجتماعيه وشريحتهم الخاصّه فى المجتمع يمتازون عن غيرهم بأخلاق خاصّه ، أو يتجلّى فيهم الخلق العامّ أكثر من غيرهم.

فكأ نّما اختصّوا بهذا الخلق ، مثلا : التواضع ، فإنّه حسن من كلّ واحد كما ذكرنا ، ولكنّ التواضع من الأمير لرعيّته ، ومن العالم للمتعلّمين ومن الطبيب لمرضائه أحسن وأولى ، ولمثل هذا يقال من أخلاق الطبيب التواضع الخاصّ لمعالجيه ومرضائه.

فإنّما نقصد بأخلاق الطبيب بمثل هذه المفاهيم الأخلاقيه ، وذلك من خلال نظره الإسلام بالخصوص.

وعلى الأطباء أن ينظروا إلى طبّهم وعملهم الطبّى بمنظار العباده ، لا الحرفه والتجاره ، فإنّما يمارسون الطبّ على أ نّه من الاُمور العباديه التى يتقرّب بها الإنسان إلى ربّه ، فمن أحيا نفساً كأ نّما أحيا الناس جميعاً.

وحينئذ لمّا كان الطبّ أمراً عبادياً ،

وليس من المهنه والحرفه التجاريه ، فيلزم على الطبيب أن يراعى الأخلاق العامّه والخاصّه أكثر من غيره . هـذا ما يحكم به العقل الرشيد والوجدان السليم والشرع المقدّس.

فالعمل الطبّى وظيفه شرعيه ودينيه ، كما أ نّها وظيفه إنسانيه وعقلائيه.

ويقال : طاء الطبّ عباره عن الطهاره ، والباء عن الباطن ، وهـذا يعنى على الطبيب أن يطهّر باطنه من الأرجاس والآثام والمعاصـى والخبـائث ، ويتعلّـق قلبه بـالله ، ويتمكّن بنوره أن يشـخّص الأـمراض ويعرف معالجتهـا ، ويكون مظهراً لاسـمه الطـبيب المشـافى المعافى جلّ جلاله.

وحينئـذ كمـا يسـتحبّ بنـاء المساجـد والمعابـد ، كـذلك ينبغى بناء المستشـفيات والمستوصـفات والمراكز الصـحّيه ، ومن هـذا المنطلق كان بعض الأخيار يوقف ثروته على المستشفيات والمرضى.

فـالطبيب لاـ بـدّ أن يكون متخلّقـاً بأخلاـق الله وطاهراً مطهّراً من المعايب والآثام والأمراض الروحيه ، وإلاّ فإنّه يلزم أن يكون من المثـل المعروف : « طـبيب يـداوى النـاس وهـو عليـل» ، ولـو تجرّد من الأخلاـق الكريمه ، فـإنّه يصـبح سـفّاحاً للـدماء ، فضّـاحاً للأعراض.

فالطبيب مطالب فى إعمال عقله وقمع هواه وتذليل شـهواته ، بأن يكون قوىّ الإراده فى ترك الملاذ التى تفقد سعادته ، ومن ثمّ يحقّق لغيره جزءاً من الهناء والسعاده بتخفيف آلامه وشفاء أسقامه.

علل الشرائع ، بسنده عن أبى عبد الله (عليه السلام) ، قال : كان يسمّى الطبيب (المعالج) ، فقال موسى بن عمران : يا ربّ ، ممّن الداء ؟ قال : منّى . قال : فممّن الدواء ؟ قال : منّى . قال : فما يصـنع الناس بالمعالج ؟ قال : يطيّب بذلك أنفسهم ، فسمّى الطبيب لذلك[۲۷].

ومثله عن الكافى ، وقال العلاّمه المجلسى فى بيانه : « يطيّب أنفسهم»

فى بعض النسخ بالباء الموحّده ، وفى بعضها بالياء المثناه من تحت . قال الفيروزآبادى : طبّ تأنّى للأمور وتلطّف . أى إنّما سمّوا بالطبيب لرفعهم الهمّ عن النفوس المرضى بالرفق ولطف التدبير ، وليس شفاء الأبدان منهم.

وأمّا على الثانى فليس المراد أنّ مبدأ اشتقاق الطبيب الطيب والتطبيب ، فإنّ أحدهما من المضاعف ، والآخر من المعتلّ.

بل المراد أنّ تسميتهم بالطبيب ليست لتداوى الأبدان عن الأمراض ، بل لتداوى النفوس عن الهموم والأحزان فتطيّب بذلك . قال الفيروزآبادى : الطبّ ـ مثلّه الفاء ـ علاج الجسم والنفس . انتهى كلامه رفع الله مقامه.

قال بعض المحقّقين : الطبيب : هو الحاذق فى كلّ شىء ، وخصّ المعالج به عرفاً ، والطبّ نوعان : نوع طبّ جسد ، وهو المراد هنا ، وطبّ قلب ومعالجته خاصّه بما جاء به رسول الله عن ربّه تعالى : وأمّا طبّ الجسد فمنه ما جاء فى المنقول عنه (صلى الله عليه وآله) ، ومنه ما جاء فى غيره ، وغالبه راجع إلى التجربه.

ثمّ هو نوعان : نوع لا يحتاج إلى فكر ونظر ، بل فطر الله عليه الحيوانات مثل ما يدفع الجوع والعطش ، ونوع يحتاج إلى الفكر والنظر كدفع ما يحدث فى البدن ممّا يخرجه عن الاعتدال ، وهو إمّا إلى حراره أو بروده ، وكلّ منهما إمّا إلى رطوبه أو يبوسه ، أو إلى ما يتركّب منهما ، والدفع قد يقع من خارج البدن ، وقد يقع من داخله ، وهو أعسرهما ، والطريق إلى معرفته بتحقيق السبب والعلامه.

والطبيب الحاذق هو الذى يسعى فى تفريق ما يضرّ بالبدن جمعه أو عكسه ، وفى تنقيص ما يضرّ بالبدن زيادته أو

عكسه.

ومدار ذلک علی ثلاثه أشیاء : حفظ الصحّه ، والاحتماء عن المؤذی ، واستفراغ المادّه الفاسده.

وقد اُشیر إلی الثلاثه فی القرآن الکریم : فالأوّل من قوله تعالی:

(فَمَنْ کانَ مِنْکُمْ مَریضاً أوْ عَلی سَفَر فَعِدَّهٌ مِنْ أیَّام اُخَر)[۲۸].

وذلک إنّ السفر مظنّه النصب وهو من مغیّرات الصحّه ، فإذا وقع فیه الصیام ازداد فاُبیح الفطر إبقاء علی الجسد ، وکذا القول فی المرض . والثانی وهو الحمیّه من قوله تعالی:

(وَلا تَقْتُلوا أنْفُسَکُمْ)[۲۹].

وإنّه استنبط منه جواز التیمّم عند خوف استعمال الماء البارد ، والثالث عن قوله:

(أوْ بِهِ أذیً مِنْ رَأسِهِ فَفِدْیَهٌ)[۳۰].

وإنّه اُشیر بذلک إلی جواز حلق الرأس ، والذی مُنع منه المحرم ، لاستفراغ الأذی الحاصل من البخار المحتقن فی الرأس[۳۱].

زبده الکلام :

وزبده المخاض أنّ الله سبحانه هو الطبیب الأوّل وبیده الداء والدواء ، وهو المعافی والمشافی ، کما قال فی کتابه الکریم عن لسان إبراهیم الخلیل (علیه السلام):

(وَإذا مَرِضْتُ فَهُوَ یَشْفینِ)[۳۲].

وإنّ الطبیب فی الأرض کان خلیفته فی مظهریّه اسمه المبارک ، ولا بدّ له أن یتخلّق بأخلاق ربّه وخالقه.

باعتقادی أنّ الأطباء خلفاء الله فی أرضه ، وسفرائه علی خلقه ، واُمنائه فی بریّته ، لیتجلّی فیهم صفاته الأفعالیه من الشفاء والمعافاه والطبابه والمداواه والسلامه والقوّه . فإنّه الشافی المعافی الطبیب المداوی السلام القویّ جلّ جلاله ، وعمّ نواله وإحسانه ، وعظم شأنه.

ویقول الرازی فی فضل الأطبّاء أ نّه : « قد اجتمع لهم خمس خصال لم تجتمع لغیرهم:

الاُولی : اتّفاق أهل الملل والأدیان علی تفضیل صناعتهم.

الثانیه : اعتراف الملوک والسوقه بشدّه الحاجه إلیهم ، إذ هم المفزع والغیاث حین لا ینفع عُدّه ولا عشیره.

الثالثه : مجاهده ما غاب عن أبصارهم.

الرابعه : اهتمامهم الدائم بإدخال السرور والراحه

على غيرهم.

الخامسه : الاسم المشتقّ من أسماء الله تعالى.

ولو لم يكن من فضل الطبيب ، إلاّ أنّ الإنسان ربما يتشوّق إليه ، حين يسأم أكرم الناس عليه ، فأخصّهم لديه ، فإنّه فى العلل الصعبه ربما كره الإنسان لقاء أهله وولده ، ويشتاق إلى الطبيب ، ويتروّح لرؤيته ، وتطيب نفسه بحضوره ومشاهدته ، لكان فيه مندوحه دون غيره»[٣٣].

ثمّ لا ريب أنّ طبّ النفوس والأرواح أسمى وأشرف من طبّ الأبدان ، لأنّ الروح باقيه والبدن ينعدم ، وإنّ طبّ الأبدان مهمّته إصلاح الصور والأعضاء وسلامه الجسد الفانى طيله الحياه الدنيويه ، وطبّ النفوس غايته إصلاح المعانى وسلامه الروح الباقيه فى الحياه الاُخرويّه.

والمتكفّل لطبابه الأبدان هم الأطباء ، وأمّا سلامه الروح ونزاهتها ، فإنّها من الله سبحانه على لسان أنبيائه ورسله وأوصيائهم ، وما جاء فى كتبه وصحفه.

فإنّ كتاب الإسلام دين الله القويم هو القرآن الكريم فيه تبيان كلّ شىء:

(ما فَرَّطْنا فى الكِتابِ مِنْ شَىْء)[٣٤].

وأنزل فيه من كلّ حكمه ونبأ على نبيّه الأكرم محمّد (صلى الله عليه وآله):

(يُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الكِتابَ وَالحِكْمَةَ)[٣٥].

وإنّ خلق القرآن والتكلّم به ، إنّما كان قبل خلق الإنسان ، الذى سخّر الله له كلّ شىء بحكمته : « فإنّ مرتبه تكلّم الحقّ بالقرآن سابقه على خلق الإنسان كما جاء فى قوله تعالى:

(الرَّحْمنُ عَلَّمَ القُرْآنَ خَلَقَ الإنْسانَ عَلَّمَهُ البَيانَ)[٣٦].

فجاءت مرتبه علم القرآن سابقه على خلق الإنسان ، فتكون مرتبه التكلّم بالقرآن سابقه على مرتبتى علم القرآن وخلق الإنسان ، وإذا أمعنّا النظر بعنايه وتدبّر فى الآيات ، لوجدنا أنّ خلق الإنسان محاط بعلمين : الأوّل : علم القرآن ، والثانى : علم البيان ، فكأنّ علم القرآن منحه وعطاء من خالق الأرض

والسماء حيث أتى بذروه العلوم ، وأرقى صنوف الحكمه فى قوله سبحانه:

(ما فَرَّطْنا فى الكِتابِ مِنْ شَىْء)[٣٧].

وقوله جلّ شأنه:

(وَشِفاءٌ لِما فى الصُّدورِ)[٣٨].

وعلم البيان اختصّ بنعمه النطق والكشف عن أسرار الكون والطبيعه ، وما أودع الله فيهما من الأسرار ، والحقّ جلّ وعلا جعل القرآن محاطاً بسرّه المكنون الذى لا يبلغ منتهاه إلاّ هو ، وأنزل مقترناً بالحكمه فى قوله:

(وَأَنْزَلَ اللهُ عَلَيْكَ الكِتابَ وَالحِكْمَهَ وَعَلَّمَكَ)[٣٩] ، الآيه ، وقد جاء القرآن بأعلى مراتب الحكمه وصفوه الشفاء ، ورفع الخالق سبحانه قدر الإنسان وكرمه على سائر المخلوقات بالعقل ، وبوحى العلم وإدراك العقل ، جعله يأخذ من الطبيعه لكلّ داء دواء.

وتبارك المُنزل:

(وَعَلَّمَكَ ما لَمْ تَكُنْ تَعْلَمُ وَكانَ فَضْلُ اللهِ عَلَيْكَ عَظيماً)[٤٠].

وصلّى الله على سيّدنا محمد القائل : تداووا أ يّها الناس فإنّ الذى أنزل الداء أنزل الدواء»[٤١].

ثمّ الإنسان خلقه الله مختاراً ، وجعله بين مبدء ومعاد ، وصراط متّصل بينهما ، فالمبدأ هو الله سبحانه ، علّه العلل واجب الوجود لذاته ، المستجمع لجميع صفات الجلال والجمال الكمال ، وهو الهدف فى سير الإنسان وسلوكه ، فإنّ للإنسان هدفاً ووجهه فى حياته هو المسؤول عنها ، وهو مولّيها ، وقد أشار الله فى كتابه إلى هذا المعنى فى قوله تعالى:

(وَلِكُلٍّ وِجْهَهٌ هُوَ مُوَلِّيها)[٤٢].

فالإنسان ولىّ هذا الهدف وهو المسؤول عن كمّيه وكيفيّه طىّ الطريق ونهجه ، وقد أتمّ الله الحجّه فى كلّ شىء ، وقد سخّر للإنسان كلّ شىء:

(رَبَّنا أعْطى كُلَّ شَىْء خَلْقَهُ ثُمَّ هَدى)[٤٣].

وأمّا المعاد فهو يوم القيامه يوم يبعثون ليرى الإنسان ما قدّم من عمل وليجزَ المطيع بثواب الله ويعاقب العاصى بعذاب الله ، يوم يرى الإنسان كلّ شىء محضراً ، ومن يعمل مثقال ذرّه خيراً

يره ، ومن يعمل مثقال ذرّه شرّاً يره.

وأمّا الصراط المستقيم فهو عباره عن النبوّه والإمامه ، والمتمثّله فى سلوك الإنسان بالعلم والعمل بالإيمان بالله واليوم الآخر وبرسل الله وكتبه ، والعمل الصالح ، وإنّ الإنسان لفى خسر فى دنياه وآخرته ، إلاّ الذين آمنوا وعملوا الصالحات ، وتواصوا بالحقّ وتواصوا بالصبر.

وإنّ الآيات القرآنيه والروايات الشريفه وكلمات الحقّ كلّها تدور حول محاور ثلاثه:

١ _ المبدأ.

٢ _ المعاد.

٣ _ الصراط.

والطبيب الإسلامى من كان يؤمن بالله والمعاد ويكون فى صراط الله ، علماً وعملا ، جوانحاً وجوارحاً ، فكراً وعقيده ، إيماناً وسلوكاً ، ويكون مظهراً لأسماء الله وصفاته العليا ، وإنّ قلب الإنسان المؤمن يطمئنّ بذكر الله:

(ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبُ)[۴۴].

فلا بدّ للطبيب المسلم أن يكون موضعاً للطمأنينه الإلهيه بالنسبه إلى مريضه ، ولا بدّ للمريض أن يطمئن قلبه إلى طبيبه ، وذلك لو وجد طبيبه متحلّياً بالأخلاق الحميده والآداب المجيده ، وقد ورد فى الخبر الشريف : « لا ميراث كالأدب» ، « الآداب حللٌ مجدّده» ، وإنّ امتياز الإنسان عن الحيوانات إنّما هو بعقله وناطقيّته ووجدانه وسجاياه الأخلاقيه الفاضله ، ولولا ذلك لكان الإنسان كالأنعام ، بل أضلّ سبيلا ، وقيمه كلّ امرء ما يحسنه ، وقدر الرجل على قدر همّته.

وذهب جمع إلى أنّ الأخلاق إنّما هو الحدّ الوسط بين الإفراط والتفريط ، واُصولها أربعه : العفّه والشجاعه والحكمه والعداله . وقد ورد فى الخبر النبوىّ الشريف : « خير الاُمور أوسطها» ، فالكمال والفضيله إنّما عباره عن الحدّ الوسط بين الإفراط والتفريط ، فبين الجبن والتهوّر الخلق الحسن هو الشجاعه ، وبين البخل والإسراف الاقتصاد ، وبين التكبر والحقاره التواضع ، وبين العصبيه

والمـداهنه الرفق والمجامله ، وهكـذا باقى الصـفات الأخلاقيه ، كما هى مذكوره فى كتب الأخلاق ، كجامع السعادات للمحقّق المولى النراقى (قدس سره) ، فراجع.

وزبـده الكلام كمـا قـال الإمـام الصادق (عليه السـلام) : « تخلّقوا بأخلاق الله» . وقال الإمام السجّاد فى دعاء مكارم الأخلاق : « وهب لى معـالى الأخلاق» ، فصـاحب الهمّه العـاليه إنّمـا يطلب من ربّه معـالى الأخلاق وسموّها ، وهى أخلاق الله المتجلّيه فى أسماءه الحسنى وصفاته العليا سبحانه وتعالى.

والكمـال المطلق هو الله سبحانه ، وكلّمـا قرب الإنسـان من ربّه زاد فى كمـاله ، ويكون ذلـك برعـايه ما وجب على الإنسان من الحقوق الخاصّه والعامّه ، بتعـديل غرائزه وعواطفه ، ورعايه الحقّ والعـداله ، والمقصود من العدل هو وضع الشـىء فى موضـعه ، فكلّ شيء فى موضعه يكون من الخلق الحسن.

فـإذا كانت الرحمه والشـفقه الإلهيه فى نطاق العـدل الإلهى ، كـذلك غضـبه وقهاريّته فى نطاق العـدل ، فهو أرحم الراحمين فى موضع العفو والرحمه ، وأشدّ المعاقبين فى موضع النكال والنقمه ، فالعدل هو الأصل الأوّلى فى الأخلاقيات.

والطبيب المتخلّق بأخلاق الله ، من كـان يراعى العـداله فى حيـاته الطبّيه ، كمـا عليه أن يراعيها فى كلّ جوانب الحياه وحقولها ، بإيمان وإخلاص ، مع رعايه حقوق الآخرين ، قال الله تعالى:

(الَّذينَ آمَنوا وَلَمْ يُلْبِسوا إيْمانَهُمْ بِظُلْم اُولئِكَ لَهُمُ الأمْنُ وَهُمْ مُهْتَدونَ)[۴۵].

والإيمـان بالله واليوم الآخر هو العامل الأساسـى فى تحكيم المبانى الأخلاقيه فى الفرد والمجتمع ، كما لا بـدّ من الاعتقاد باختيار الإنسان وخلوده حتّى تتمّ الأخلاق وتحيى ، ويعيش الإنسان فى مدينه فاضله رغيداً سعيداً.

وعظمه الإنسان بأخلاقه الساميه الرفيعه ، وأولى الناس بالأخلاق الأطباء والعلماء . فهم أطباء الروح والجسد.

وإنّ الطبيب

إنّما يعاشر فى حياته آلاف المرضى الذين يتصارعون مع الموت ، وبان الانكسار على وجوههم وأصابهم اليأس والخمول ، يتململون كتململ السليم من شدّه الأوجاع والآلام ، لم يبرحوا عن السرير أياماً ، شهوراً ، يقضون أيامهم الأخيره وربما أنفاسهم الأخيره ، قد غسلوا أيديهم عن الحياه وانهارت أعصابهم يتصارعون مع الفقر والحبوب والأقراص والإبر والعمليات ذات القيم الباهضه ، وتكسّرت ضلوعهم بين الأنين والحسرات ، وليس لهم إلاّ برحمه الله المتجلّيه فى محيّا الطبيب ووجهه الباسم ، وأخلاقه الطيّبه التى تزرع فى وجود المريض روح الأمل وعشق الحياه.

فلو لم يكن الطبيب خلوقاً ، ولم يحمل بين حناياه الرحمه واللطف ، ولم يتّصف بالأخلاق الحسنه ، ولم يحبّ الإنسان ، عارياً من الشفقه والعطوفه ، يركض وراء الماديات والملاذّ والشهوات ، محبّاً للجاه والمقام ، هلوعاً طمّاعاً سيء الخلق ، كيف يسعد المريض بعلاجه وطبابته ؟ ! !

ومن هنا يعلم الأهميه البالغه لدروس الأخلاق فى الجامعات الطبيه ، ومع كلّ الأسف الشديد تفقد جامعاتنا هذا الجانب الأساسى فى حياه الطبيب.

ثمّ علم الطبّ ليس من العلوم الطبيعيه وحسب كما هو المشهور والمعروف ، بل فى الواقع يعدّ من العلوم الإلهيه أيضاً ، فإنّه من خير السبل إلى معرفه الله سبحانه وتوحيده ، فإنّ الطبيب عندما يقف على صنع بدن الإنسان يبقى مندهشاً ومتحيّراً من دقّه النظام والحكمه ولطافه الخلقه والأسرار المودعه فى وجوده ، فيسبّح الله على حكمته وعظيم صنعه:

(إنَّ فى ذلِكَ لآيات لِقَوْم يَتَفَكَّرونَ)[۴۶].

وفى الحديث النبوىّ والعلوىّ الشريف : « من عرف نفسه فقد عرف ربّه» ،

وقال الله سبحانه وتعالى فى محكم كتابه الكريم:

(سَنُريهِمْ آياتِنا فى الآفاقِ وَفى أنْفُسِهِمْ حَتَّى يَتَبَيَّنَ لَهُمْ أ نَّهُ الحَقُّ)[۴۷].

كما

إنّ الطبّ من الواجبات الكفائيه التوصّليه فى الفقه الإسلامى ، فلولاه لاختلّ النظام الاجتماعى ، فلا بدّ من ثلّه صالحه أن تقوم بهذا الواجب ، وإلاّ فإنّه يأثم الجميع ، وهذا يعنى أنّ الطبابه للطبيب ليست وظيفه اجتماعيه وحسب ، بل من الوظائف الإلهيه أيضاً ، وربما يكون الكفائى عينياً فيما لو انفرد قيام الواجب به ، كما هو مذكور فى علم الفقه ، ولو كان فى بلد من به الكفايه من طبيب ، فعلى الآخر أن يذهب إلى المناطق التى تحتاجه وتفتقر إليه ، وأن يبذل الطبيب كلّ جهده فى معالجه مرضى البلد.

ولمّا كان موضوع الطبّ هو الإنسان فعلى الطبيب أن يعرفه فى كلّ أبعاده ، لا سيّما فى البعدين الأساسيين ، وهما : الروح والجسد ، فلا بدّ أن يعرف روح الإنسان كما يعرف خفايا بدنه ، لأنّ الطبيب بطبّه ، ليس مع ماكنه متحرّكه من دون روح ، حتّى يهتمّ بالظاهر وبالحركه الفيزيكيه ، بل لا بدّ أن يطّلع على العالم الميتافيزيقى أيضاً . فلا بدّ للطبيب أن يكون طبيب الروح والجسد (الطبيب الروحانى والطبيب الجسمانى) (الطبّ الروحانى والطبّ الجسمانى) والمتكفّل لمعرفه الطبّ الروحانى هو علم الأخلاق ، فيلزم على الطبيب أن يكون متخلّقاً بالطبّ الروحانى وبالأخلاق الطبّيه الروحيه.

ثمّ هنا روابط وعلائق وثيقه بين الروح والجسد ، فكلّ واحد يؤثّر على الآخر ، فإنّ العقل السليم فى الجسم السليم ، وإنّ الخجل يؤثّر على احمرار الوجه ، كما أنّ صفعه الوجه توجب احمراره . وربما العقد النفسيه تخلق أمراضاً جسديه ، تزول العقد ولكن يبقى الأثر من الأمراض والأسقام . والعمده فى الأخلاق ، ليس الأخلاق الفطريه والحكمه

النظريه ، بـل الأخلاـق العمليه وتطبيق الحكمه النظريه فى مقـام العمـل ، وربمـا تكون دروس النظريـات سـهله التنـاول والحفظ ، ولكن ما أصعب العمل . فالأخلاق نور ينفذ فى القلوب المظلمه ، وإفاضات تحيط الروح الإنسانيه الخالده.

فالأخلاـق لا بـدّ فيها من وجـدان يقظ وضـمير حىّ ، ومن تـذوّقها ، لا مَن سـمعها ، ومن لمسـها ، لا من قرأها . كما قال سبحانه وتعالى:

(إنَّ فى ذلِكَ لَذِكْرى لِمَنْ كانَ لَهُ قَلْبٌ وَأَلْقى السَّمْعَ وَهُوَ شَهيد)[۴۸].

فلا بـدّ فى حكومه الأخلاق فى وجود الفرد والمجتمع من ضـمان ، ألا وهو الإيمان الراسـخ فى الصدور بالله ويوم القيامه ، الذى جاء به الشـرائع السـماويه ، لتعديل الغرائز البشريه وتهذيب العواطف الإنسانيه ، وتوحيد الوجدان المختلف فيه ، كما قاله سبحانه فى فلسفه بعثه الأنبياء:

(كانَ النّاسُ أُمَّةً واحِدَةً فَبَعَثَ اللهُ النَّبِيِّينَ مُبَشِّرينَ وَمُنْذِرينَ وَأَنْزَلَ مَعَهُمُ الكِتابَ بِالحَقِّ لِيَحْكُمَ بَيْنَ النّاسِ فيما اخْتَلَفوا فيهِ)[۴۹].

فمن آمن بالله واليوم الآخر ، وعلم أن هناك يوماً يحاسب فيه على كلّ صغيره وكبيره:

(وَقِفوهُمْ إنَّهُمْ مَسْؤولون)[۵۰].

فإنّه يراعى الأخلاقيات الحسـنه ويلتزم بها ، ويعلم أنّ الوجـدان بوحـده لا يكفى فى تنفيـذ حكومه الأخلاق فى الفرد والمجتمع ، ولمثل هذا نرى الأنبياء يبشّرون الناس بثواب أعمالهم ، كما ينذرونهم بالعقاب وبسوء أفعالهم.

وبعد الإيمان إنّما شرف الإنسان بعلمه ، وإنّ الله سبحانه يقول:

(يَرْفَعِ اللهُ الَّذينَ آمَنوا وَالَّذينَ اُوتوا العِلْمَ دَرَجات)[۵۱].

فالرفعه للمؤمن العالم ، وإنّما فضل آدم (عليه السلام) على الملائكه لما يحمل من العلم الوسيع:

(وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْماءَ كُلَّها)[۵۲].

حتّى صار مسـجوداً للملائكه وكان خليفه الله فى أسـمائه وصـفاته فى الأرض ، وإنّ الإسلام يدعو الناس إلى العلم والتعلّم ، وإنّ طلب العلم فريضه على كلّ مسلم ومسلمه ، وإنّ

الله يحبّ بغاه العلم ، والعلم فى الإسلام يعمّ كلّ العلوم البشريه ، وإنّ العلماء من عباد الله يخشون الله سبحانه:

(إنَّما يَخْشى اللهَ مِنْ عِبادِهِ العُلَماءُ)[٥٣].

وإنّ العالم هنا لا ينحصر بعلم الشريعه والفقه والأخلاق ، بل حتّى العالم بالطبّ عندما يقف على حكمه خلق الإنسان وعظمته يخشع أمام خالقه وصانعه.

وقد اهتمّ الإسلام بعلم الطب ، فمن أحياها (النفس) فكأ نّما أحيا الناس

جميعاً[٥٤] . والإمام الصادق (عليه السلام) يقول : لا ـ يستغنى أهل كلّ بلد عن ثلاثه يفزع إليه فى أمر دنياهم وآخرتهم ، فإن عدموا ذلك كانوا همجاً (أى بمنزله الحيوانات) : فقيه بارع ورع ، وأمير مطاع ، وطبيب بصير ثقه.

وقال (عليه السلام) : كان المسيح (عليه السلام) يقول : إنّ لتارك شفاء المجروح من جرحه شريك جارحه لا محاله ، وذلك أنّ الجارح أراد فساد المجروح ، والتارك لإشفائه لم يشأ صلاحه ، فإذا لم يشأ صلاحه فقد شاء فساده اضطراراً[٥٥].

وهذه الروايه إن دلّت على شىء فإنّما تدلّ على عظمه مسؤوليه الأطباء والجرّاحين تجاه مرضاهم ، فإنّ إهمالهم إيّاهم بمنزله قتلهم ، ومن قتل نفساً فكأ نّما قتل الناس جميعاً ، فتدبّر.

ولا بدّ من التخصّص فى علم الطبّ ، لأنّ الله سبحانه يقول:

(وَلا تَقْفُ ما لَيْسَ لَکَ بِهِ عِلْمٌ)[٥٦].

فكيف يجوّز الدواء من لم يكن عالماً بالداء ، فعلى الطبيب أن يكون حاذقاً بصيراً كما قال الإمام الصادق (عليه السلام) ، فيلزمه أن يكمل علمه حتّى يجوز له الطبابه ، وإلاّ ـ فهو ضامن كما قال الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) : « من تطبّب ولم يعلم منه الطبّ (قبل ذلک) فهو ضامن» ، فيما لو أوجب

نقص عضو أو تلف نفس أو ما شابه ذلك . قال (صلى الله عليه وآله) : « من تطبّب ولم يكن بالطبّ معروفاً ، فإذا أصاب نفساً فما دونها فهو ضامن».

وما أروع ما يقوله أمير المؤمنين (عليه السلام) فى تعيين وظائف الإمام والسلطان

الفقيه المبسوط اليد ، قال (عليه السلام) : « يجب على الإمام أن يحبس الفسّاق من العلماء والجهّال من الأطباء»[٥٧].

فيلزم الطبيب أن يكمل دراساته الطبيه بجدّ ومثابره وتواصل ، ولا يقطع المشاوره مع الأطباء ، ويواكب الحضاره الطبيه بمطالعه آخر تطوّراته وحوادثه ، وأن لا يتدخّل بما لا اختصاص له فيه ، فإذا كان طبيب القلب ، فلا يجيز الدواء لمريض الكبد ، بل يرجعه إلى ذوى الاختصاص . وإنّما يجوز الدواء بعد تشخيص المرض والداء ، لا أن يمتحن الدواء على مريضه ويتصوّره من جرذان التجربه.

فكلّ إنسان ولا سيّما أطباء الروح والجسد ، إنّما هو مسؤول أمام نِعَم وآلاء الله:

(ثُمَّ لَتُسْئَلُنَّ يَوْمَئِذ عَنِ النَّعيمِ)[٥٨].

كما إنّه مسؤول أمام خلق الله ، كما إنّ كلّ صاحب حرفه وصنعه مسؤول عن حسن العمل وإخلاصه ، كما إنّ الطبيب مسؤول أمام خالقه وعلمه وشعبه وحرفته وأساتذته والعلماء الذين حفظوا له هذا العلم المقدّس ، وإنّه مسؤول أمام مريضه.

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) : ألا وإنّ من البلاء الفاقه ، وأشدّ من الفاقه مرض البدن ، وأشدّ من مرض البدن مرض القلب[٥٩].

فطالب كليه الطبّ عليه أن يقدّر هذه النعمه العظيمه التى أنعم الله عليه من دون زملائه فى الثانويه ، فلا يضيّع وقته بالبطاله والجهاله ، فإنّ ذلك من الخيانه بشبابه وأهله وشعبه وبيت المال وحكومته ، وبذلك يعدّ جرمه من أعظم الجرائم ، فمن لم

يبذل كلّ جهده ، ويستفرغ كلّ وسعه ، فى تكميل علمه ، فإنّ ضرره أكثر من نفعه ، فالحياه عقيده وجهاد من اجل تلك العقيده ، وسعاده المرء ومجتمعه إنّما مرهونه بهذين العاملين : العقيده والفكر الصحيح ، والجهاد والعمل المستمرّ . فلا ضجر ولا كسل ، فإنّهما عاملان يهدّمان الحياه.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام) : إيّاك وخصلتين : الضجر والكسل فإنّك إن ضجرت لم تصبر على حقّ ، وإن كسلت لم تؤدّ حقّاً.

ويقول أمير المؤمنين على (عليه السلام) : إيّاك والكسل فإنّه من كسل لم يؤدّ حقّ الله عزّ وجلّ.

وقال لقمان لابنه : للكسلان ثلاث علامات : يتوانى حتّى يفرّط ، ويفرّط حتّى يضيّع ، ويضيّع حتّى يأثم.

والشعب الذى يفقد الفكر السليم والعمل الدؤوب ، فإنّ الاستعمار يتسحمره وينهب ثرواته ويسمّيه وحشياً ، ويتعامل معه معامله الوحوش ، كما نرى ذلك فى العالم الثالث ـ على حدّ تعبيرهم ـ فلا بدّ من إصلاح الفرد والمجتمع وسوقهم إلى السعاده الدنيويه والاُخرويه ، وذلك بالتقوى وتزكيه النفس وبالتعبّد والتقرّب إلى الله سبحانه.

والوقايه خير من العلاج ، وإنّما حفظ الشىء ممّا يؤذيه ويضرّه ، وجعل النفس فى وقايه ممّا يخاف.

وأوّل قدم فى السير والسلوك إلى الله سبحانه هو التقوى ، ولا ينفع اجتهاد لا ورع فيه ، وإلاّ فإنّ عاقبه من لم يكن متّقياً من الذنوب والمعاصى على سوء وضلاله ، كما قال الله سبحانه:

(ثُمَّ كانَ عاقِبَهُ الَّذينَ أساؤوا السُّوأى أنْ كَذَّبوا بِآياتِ اللهِ وَكانوا بِها يَسْتَهْزِئونَ)[٦٠].

وفى الحديث الشريف : « ما من شىء أفسد للقلب من خطيئه ، إنّ القلب ليواقع الخطيئه فلا تزال حتّى تغلب عليه ، فيصير أعلاه أسفله».

فلو أدرك الإنسان هذه الحقيقه ،

أنّ القلب وعاء وخير القلوب أوعاها ، وإنّها تتقبّل الفيوضات الإلهيه والرحمه الرحمانيه والرحيميه ، لو كان الإناء صحيحاً فى وضعه ، وأمام الرحمه والفيض ، أمّا إذا انقلب وانعكس ، وكان أعلاه أسفله من أثر الذنوب والمعاصى المتكرّره من دون التوبه ، فإنّه من المستحيل أن يكون موضعاً للعلم الإلهى ووعاءً للرحمه الإلهيه[۶۱].

فاتّقوا الله حقّ تقاته:

(وَلْتَنْظُرْ نَفْسٌ ما قَدَّمَتْ لِغَد وَاتَّقوا اللّهَ)[۶۲].

ولا بدّ من برامج ومشارطه مع النفس ، ثمّ مراقبتها ، ثمّ محاسبتها ، ثمّ معاتبتها ولومها[۶۳] عند التخلّف عن الشرائط والبرامج.

قال الإمام الكاظم (عليه السلام) : ليس منّا من لم يحاسب نفسه فى كلّ يوم ، فإن عمل حسناً استزاد الله ، وإن عمل سيئاً استغفر الله منه وتاب إليه.

والطبيب فى سيره وسيرته عليه أن يراعى هذه الاُصول الأخلاقيه فى حياته العامّه والخاصّه ، ويكون طبيباً دوّراً بطبّه ، كما عليه أن يراعى الاُصول الطبيه ، وإن كان حاذقاً.

والإسلام يدعو إلى سلامه الإنسان فى كلّ أبعاده فى حياته الفرديه والاجتماعيه ، الجسديه والروحيه ، وبعد مماته.

يقول الاُستاذ محمد الخليلى فى مقدّمه الطبعه الثالثه لكتابه « طبّ الإمام الصادق (عليه السلام)» : الإنسان مخلوق ركّب من روح وبدن ، ولكلّ من جزئيه صحّه ومرض ، وما يحدث لكلّ منهما يؤثّر فى الآخر ، أمّا الطبيب فهو المطيّب للنفوس بكلامه وأخلاقه والمعالج للروح والبدن والحافظ لصحّتهما بالعقاقير والإرشادات الصحيه معاً ، بمعنى أنّ الطبيب الحقيقى هو طبيب الروح والبدن . ذلك لأ نّا نرى أنّ كثيراً من العوارض النفسيه والروحيه كالغضب والحزن والحبّ والفراق وأمثالها ، تسبّب انحراف صحّه البدن ، كما إنّ انحراف صحّه البدن تغيّر الأخلاق ، وتسىء الطباع وتكدّر الحواسّ ،

إلى غير ذلـك ، فـإذا لم يكن الطبيب روحياً عارفاً بالانحرافات النفسـيه ، فلا بـدّ له أن يعالـج هـذه العوارض البـدنيه الناشـئه عن عوارض الروح بالمسـهلات أو المشـهّيات أو مـا أشـبه ذلك ، وهـذا الطبع لا يوصـله إلى الـدواء الناجع المفيـد ، لأنّ العلاج فى الحقيقه هو إزاله السبب ، وكذلك إذا رأى فى مريض أرقاً أو قلقاً ناشئاً عن الفكر المزعج أو الخيالات الفاسده ، داواه بالحبوب المهدّئه والمنوّمه ، وهذا أيضاً بالطبع لا يغنى ولا يشفى ، إذا لم يدفع السبب ، وهو الخيال والفكر ، لكن الطبيب النطاسى الحكيم الجـامع للطبّين ، والعـارف بالعلاـجين : الروحى والبـدنى ، فـإنّه ينظر إلى المريض من الوجهتين ، فمن كـان محتاجاً إلى العقاقير الطبيه

عالجه بها ، ومن كان محتاجاً إلى النصـح أو التسـليه أو إدخال الطمأنينه والاسـتقرار إلى قلبه ، وذلك بتهوين المرض أو الأوجاع أو أمثالهما ، ممّا يراه مناسباً للوقت والمرض ، داواه بها ، وأحياناً بهما معاً.

فمثـل هـذا هو الطبيب الكامـل والمعوّل عليه فى ملاـحظه الجسم والروح ومعرفه طرق علاجهما ، وبـديهى أنّ ذلك لا يتيسّـر إلّا لكبـار رجـال الفنّ ، أو أعـاظم أئمه الـدين الـذين اقتبسـوا فنّهم الروحى عن السـماء ، وأخـذوا علاـجهم بـالتلقين والتعليم النبوى والصحف السماويه الحكيمه.

أمّا الإسلام فإنّه يرى الإنسان موجوداً ، خلق ليعيش فى عوالم كثيره ، وكلّها تحتاج إلى صحّه وسلامه واطمئنان ، ليسعد فى حياته ، ويرغد عيشه لذلك ، فقد ضـمن له إصـلاح كلّ تلك النواحى بتعاليمه وإرشاداته ، فى فروضه ومستحبّاته ومكروهاته ومباحاته ، كما إنّه يرى أنّ الروح والجسم وإن كانا وجودين مستقلّين لكنّهما ممتزجان ومتّصلان اتّصالا يجعل أىّ تغيّر يحصل فى

إحداهما فهو فى الآخر صحّه أو مرضاً لذلک ، فهو يطبّهما مادياً ومعنوياً ، ويعالجهما دنيوياً وأُخروياً.

خذ مثلا : الغسل والوضوء والتيمّم ، وانظر إلى شروطها وترتيبها ، لتعرف منظور الدين الإسلامى الحكيم فى جعلهما تطهيراً عرفياً وطبياً فى جنب الطاعه الموجبه لاطمئنان الخاطر ، والأمن فى أداء الواجب الأُخروى ، ومن البديهى المسلّم أنّ أهمّ ما يلحظه الدين الإسلامى فى العلاج والإصلاح فى كلّ تكاليفه ، هو إدخال الطمأنينه والأمن إلى النفوس ، فإنّهما الحجر الأساس فى مداواه الروح والبدن.

فالأنبياء على هذا هم الأطباء الروحيون ، وهم المربّون الأخلاقيون ، فإنّه لم تهبط رساله سماويه ، ولم يبعث نبىّ أو رسول ، إلاّ بتهذيب الأرواح وصحّه النفوس وتعليم الأخلاق الفاضله ، ولكن لمّا كان الجسم قالباً للروح ، وكانت لسلامته وصحّته دخل كبير فى صحّه الروح وسلامتها ، كان القسم الوافر من تعاليم الأنبياء لعلاج البدن ومداواه أمراضه وأدوائه.

قال النبى (صلى الله عليه وآله) : إنّ هذه القلوب تعمل كما تعمل الأبدان.

وقال أمير المؤمنين على بن أبى طالب (عليه السلام) : إنّ للأبدان حالات ستّ : الصحّه والمرض والنوم واليقظه والموت والحياه ، وكذلک الأرواح فإنّ صحّتها اليقين ومرضها الترديد ، ونومها الغفله ويقظتها التوجّه ، وموتها الجهل وحياتها العلم.

ومن هنا نعرف أنّ سلامه الروح وصحّتها تدلّ على صحّه الجسم ، لذلک قيل : العقل السليم فى الجسم السليم ، وإنّ من أعظم دلائل صحّه الروح هى سلامه الأخلاق والاتّصاف بمكارمها ، لذلک قال النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « بعثت لأُتمّم مكارم الأخلاق».

إذن فالدين الإسلامى هو ذلک الدين السماوى ، الذى يكفل صحّه الأبدان والأرواح بالأخلاق ، ويعالج أمراضهما بالتعاليم والإرشادات ،

والنبیّ (صلی الله علیه وآله) هو ذلک الطبیب العالمی العظیم ، ومنقذ الأرواح والأجسام من الأمراض والآلام بقرآنه الکریم وسننه الشریفه . ولمّا ارتقی (صلی الله علیه وآله) بروحه إلی الرَّوْح والریحان ، خلّف من بعده قرآنه وعترته الأطهار (علیهم السلام) ، الذین هم مبلّغو سنّته ، وموضّحو قانونه ، وحافظو شریعته ، لذلک تجد الأئمه أوصیاء النبیّ (صلی الله علیه وآله) کلّهم یعالجون الأرواح والأبدان ، ویداوون بالعقاقیر وبالکلمات الحکیمه والتعالیم القیّمه والإرشادات النافعه.

هذا وقد حان الوقت لنشیر إلی أهمّ الأخلاق الطبیه التی علی الطبیب أن یراعیها فی حیاته الطبیه ، مع ربّه ومع نفسه ومع مریضه ، وإنّما نذکر أهمّ الأخلاق الحسنه فی هذا الباب ، ونراعی الاختصار ، فإنّ خیر الکلام ما قلّ ودلّ.

والله المستعان ، الموفّق للصواب والرشاد.

---

[۱] دعاء أمیر المؤمنین علی (علیه السلام) لکمیل بن زیاد ، کما جاء فی کتاب « مفاتیح الجنان» للشیخ عباس القمی (قدس سره).

[۲] الملک : ۲.

[۳] المائده : ۲۲.

[۴] مقدّمه کتاب « أخلاق بزشکی» للشیخ حسن حسن زاده الآملی : ۲۲ ، عن کتاب الحاوی الصغیر لصائن الدین الشیرازی . وجاء فی کتاب کشّاف اصطلاحات الفنون (۱ : ۶۱) : « الطبّ هو علم یبحث فیه عن بدن الإنسان من جهه ما یصحّ ویمرض لالتماس حفظ الصحّه وإزاله المرض».

ویعتقد أغلب الحکماء والمؤرّخین أنّ أوّل طبیب تکلّم فی الطبّ هو اسقلیبیوس ، وذلک قبل الطوفان بـ (۵۴۵) عاماً ، وقیل إنّه من الأنبیاء ، وقیل إنّه تلمیذ إدریس النبیّ.

وبعد وفاه اسقلیبیوس ظهر غورس فی تأریخ الطبّ ، وبعده مینس ثمّ برمایندس ثمّ أفلاطون ثمّ اسقلیبیوس الثانی ، ثمّ تلمیذه أبقراط ،

وفى هـذه البرهه الزمنيه التى بلغت أربعه آلاف سـنه كان الطبّ فى الصـدور ، ثمّ دوّنها وحرّرها بقراط ، وبهذا ينسب علم الطبّ التدوينى إليه ، والمقصود أ نّه أذاع الطبّ ونشره بعدما كان موروثياً.

وبعـد بقراط بـ_ (۶۶۵) عاماً ظهر جـالينوس وقـد أحيا الطبّ وأوسع نطاقه ودائرته ، فسـمّى بخاتم الأطباء ، وهؤلاء الثمانيه من مشاهير علماء الطبّ القدماء.

وقيل : إنّ الطبّ كان معـدوماً فأوجده بقراط ، وميّتاً فأحياه جالينوس ، وأعمى فبصّره حنين ، ومتفرّقاً فجمعه ابن زكريا ، وناقصاً فكمّله ابن سينا.

[۵] مريم : ۱۵.

[۶] الانشقاق : ۶.

[۷] الروم : ۳۰.

[۸] الشمس : ۸ .

[۹] نهج البلاغه ، الخطبه ۸۸ .

[۱۰] القلم : ۴.

[۱۱] الشمس : ۸ .

[۱۲] الصفّ : ۱۰.

[۱۳] آل عمران : ۱۹۰.

[۱۴] الرعد : ۲۸.

[۱۵] محمد : ۳۶.

[۱۶] آل عمران : ۱۸۵.

[۱۷] الروم : ۷.

[۱۸] راجع الكافى ، المجلّد الأوّل ، كتاب العقل والجهل.

[۱۹] كما جاء ذلك فى الروايات عن الأئمه الأطهار ، وبيّنا ذلك فى كتاب « الحقّ والحقيقه بين الجبر والتفويض» ، فراجع.

[۲۰] القیامه : ۲.

[۲۱] الحجر : ۳۹.

[۲۲] المائده : ۱۰۵.

[۲۳] التحریم : ۶.

[۲۴] الحجر : ۹۴.

[۲۵] الشمس : ۹.

[۲۶] الجمعه : ۲.

[۲۷] البحار ۵۹ : ۶۲ ، طبع بیروت.

[۲۸] البقره : ۱۸۴.

[۲۹] النساء : ۲۹.

[۳۰] البقره : ۱۹۶.

[۳۱] البحار ۵۹ : ۷۸.

[۳۲] الشعراء : ۸۰ . ۳۳] أخلاق الطبیب : ۸۸ .

[۳۴] الأنعام : ۳۸.

[۳۵] الجمعه : ۲.

[۳۶] الرحمن : ۱ ـ ۳.

[۳۷] الأنعام : ۳۸.

[۳۸] یونس : ۵۷.

[۳۹] النساء : ۱۱۳.

[۴۰] النساء : ۱۱۳.

[۴۱] الطبّ فی القرآن والسنّه ، بقلم محمد محمود عبد الله : ۵.

[۴۲] البقره : ۱۴۸.

[۴۳] طه : ۵۰.

[۴۴]

الرعد : ۲۸.

[۴۵] الأنعام : ۸۲ .

[۴۶] الروم : ۲۱.

[۴۷] فصّلت : ۵۳.

[۴۸] ق : ۳۷.

[۴۹] البقره : ۲۱۴.

[۵۰] الصافّات : ۲۴.

[۵۱] المجادله : ۱۱.

[۵۲] البقره : ۳۱.

[۵۳] فاطر : ۲۸.

[۵۴] کما فی سوره المائده : ۲۲.

[۵۵] الآداب الطبیه : ۸۷ .

[۵۶] الإسراء : ۳۶.

[۵۷] الآداب الطبّیه : ۹۲.

[۵۸] التکاثر : ۸ .

[۵۹] نهج البلاغه ، الکلمات القصار ، الرقم ۳۸۸.

[۶۰] الروم : ۱۰.

[۶۱]لقد ذکرت تفصیل هذا الموضوع ذو الأهمیه البالغه فی کتاب « حقیقه القلوب فی القرآن الکریم» ، وهو مطبوع ، فراجع.

[۶۲] الحجر : ۱۸.

[۶۳] هذه مراحل أربعه فی تهذیب النفس یذکرها علماء الأخلاق ، وهی : المشارطه والمراقبه والمحاسبه والمعاتبه.

الفصل الثانی: أهمّ أوصاف الطبیب الحمیده علی ضوء القرآن والسنّه (١)

الإیمان و التقوی

إنّ الله قد حثّ فی کثیر من آیاته علی أصاله التقوی الفردیه والاجتماعیه ، وما أکثر الروایات فی ذلک ، فکلّ واحد من المجتمع علیه أن یراعی التقوی وصیانه النفس من الذنوب والمعاصی ، إلاّ أنّ هذه الخصله الربّانیه لا بدّ وأن تتجلّی فی رجل الدین والطبیب أکثر من غیرهما.

فالطبیب من خلال علمه وتشریحه للإنسان ، یعتقد فی قلبه بالمبدأ والمعاد ، فیؤمن بالله سبحانه ، بأنّ الإنسان وما فیه من العجائب والغرائب من تعدّد القوی واختلاف النفوس ، لا بدّ أن یکون له من مدبّر حیّ قیّوم عالم قدیر ، فمن المستحیل أن یکون مثل هذا النظام الدقیق فی وجود الإنسان العظیم ، الذی ربما یزعم أ نّه جرم صغیر ولکن انطوی فیه العالم الأکبر ، ففیه ما فی الکون وزیاده ، وهی روحه التی من النفخه الإلهیه:

قال الله تعالی : (یَسْألونَکَ عَنِ الرُّوحِ قُلِ الرُّوحُ مِنْ أمْرِ رَبِّی وَما اُوتیتُمْ مِنَ العِلْمِ إلاّ قَلیلا)[١].

(ثُمَّ سَوَّاهُ وَنَفَخَ فیهِ مِنْ روحِهِ)[٢].

فروحه ممّا

وراء المادّه ــ ميتافيزيقيه ــ ومن عالم الغيب والأمر ، فمن المستحيل أن يكون مثل هـذا النظام من خلق الصدفه ــ كما يدلّ عليه برهان حساب الاحتمالات ــ .

فالطبيب المؤمن بالله يلزمه التقوى والعمل الصالح ، فيكون من مصاديق الخطابات الإلهيه فى كتابه الكريم:

(الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ)[٣].

وعن أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « من تطبّب فليتّقِ الله وليصحّ وليجتهد»[۴].

فيلزم الطبيب صيانه النفس كما قال محمد بن زكريا الرازى : « فأوّل ما يجب عليك : صيانه النفس عن الاشتغال باللهو والطرب ، والمواظبه على تصفّح الكتب»[۵].

فالطبيب لا بدّ أن يكون متّقياً عادلا ، ومن عدالته أن يشهد بالحقّ ، ولا يكتم الشهاده ، قال الله تعالى:

(وَلا تَكْتُموا الشَّهادَةَ وَمَنْ يَكْتُمْها فَإنَّهُ آثِمٌ قَلْبُهُ وَاللهُ بِما تَعْمَلونَ عَليمٌ)[۶].

وعن أمير المؤمنين فى ذيل الآيه الشريفه قال : « من كان فى عنقه شهاده فلا يأبَ إذا دُعى لإقامتها وليقمها ، ولينصح فيها ، ولا تأخذه فيها لومه ، وليأمر بالمعروف ولينهَ عن المنكر»[٧].

ثمّ شعب الإيمان وفروع التقوى ومصاديقها كثيره ، وما أعظم التقوى[٨] ؟ !

يقول أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « إنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم ، وبصر عمى أفئدتكم ، وشفاء مرض أجسادكم ، وصلاح فساد صدوركم ، وطهور دنس أنفسكم ، وجلاء عشى أبصاركم»[٩].

ومن مصاديق التقوى ضبط النفس فى الكلام والرأى والعمل ، ويكون شعاره : إذا كان الكلام من فضّه فالسكوت من ذهب.

كما عليه أن يكون صادقاً فى قوله وفعله ويخلص فى العمل والمعالجه ، ويتخيّر إخوان الصفا من عباد الله الصالحين ، فإذا كنت فى قوم فصاحب خيارهم ، ولا تصحب الأردى فتردى مع الردىء.

والتقوى ذو أبعاد ، كالتقوى الأخلاقيه

والماليه والسياسيه وغيرها ، وجمعها التقوى الإلهيه . ولو كانت ملكه راسخه فى وجود الإنسان ، فإنّه يصان من حملات الشياطين ، كما قال سبحانه:

(إنَّ الَّذينَ اتَّقَوْا إذا مَسَّهُمْ طائِفٌ مِنَ الشَّيْطانِ تَذَكَّروا فَإذا هُمْ مُبْصِرونَ)[١٠].

ولقد اهتمّ الإسلام العظيم بالتقوى فى حياه المسلم ، وما أكثر الآيات الكريمه

التى تحرّض الإنسان على كسب التقوى والتحلّى بها ، وإنّما توجب سعاده الدارين:

(إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَّقينَ)[١١].

(إنَّما يَتَقَبَّلُ اللهُ مِنَ المُتَّقينَ)[١٢].

(إنَّ اللهَ مَعَ الَّذينَ اتَّقَوْا وَالَّذينَ هُمْ مُحْسِنونَ)[١٣].

(إنَّ أكْرَمَكُمْ عِنْدَ اللهِ أتْقاكُمْ)[١۴].

(تِلْكَ الجَنَّهُ الَّتى نورِثُ مِنْ عِبادِنا مَنْ كانَ تَقِيّاً)[١۵].

(وَيُنَجِّى اللهُ الَّذينَ اتَّقَوْا بِمَفازَتِهِمْ)[١۶].

(وَلِباسُ التَّقْوى ذلِكَ خَيْرٌ)[١٧].

(وَمَنْ يَتَّقِ اللهَ يَجْعَلْ لَهُ مَخْرَجاً وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لا يَحْتَسِب)[١٨].

(أمَّا الَّذينَ سعدوا فَفى الجَنَّهِ خالِدينَ فيها)[١٩].

(إنْ تَتَّقوا اللهَ يَجْعَلْ لَكُمْ فُرْقاناً)[٢٠].

(ذلِكَ الكِتابُ لا رَيْبَ فيهِ هُدىً لِلْمُتَّقينَ)[٢١].

(وَنَفْس وَما سَوَّاها فَألْهَمَها فُجورَها وَتَقْواها قَدْ أفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها)[٢٢].

هـذا كلّه من بركات وثمرات التقوى والتزكيه ، وإنّها تعنى : التطهير ، وهو إزاله الأدناس والقذرات والأوساخ الظاهريه والباطنيه ، فيشمل إزاله الاعتقادات الفاسده ، كالشرك والكفر ، وإزاله الملكات الرذيله من الأخلاق ، كالكبر والشحّ ، وإزاله الأعمال والأفعال الشنيعه ، كالقتل والزنا وشرب الخمر ، وكلّ ما حرّم الله سبحانه.

وإنّما يلزم الطبيب التقوى من بدايه أمره ، وأوّل شبابه وبلوغه ، بأن يخلّى قلبه من الرذائل والصفات الذميمه ، ثمّ يحلّيه بالأخلاق

الحميده ، ثمّ يجلّيها ويصـقلها حتّى يكون مظهراً لأسـماء الله وصفاته الوجوديه البحته ، فلا يغفل ولا يضجر ولا يكسل ، بل يتعبّد لله سبحانه فى كلّ حركاته وسكناته طيله حياته.

ثمّ التقوى كلّى مشكّك ذو مراتب طوليه وعرضيه ، اُمّهات المراتب والمراحل ثلاثه ، كما ورد فى الخبر

الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) : « التقوى على ثلاثه أوجه : تقوى من خوف النار والعقاب وهو ترك الحرام وهو تقوى العامّ ، وتقوى من الله وهو ترك الشبهات فضلا عن الحرام وهو تقوى الخاصّ ، وتقوى فى الله وهو ترك الحلال فضلا عن الشبهه» ، وإلى هذه المراتب الثلاث اُشير فى الكتاب الإلهى بقوله:

(لَيْسَ عَلى الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ جُناحٌ فيما طَعِموا إذا ما اتَّقَوْا وَآمَنوا وَعَمِلوا الصَّالِحاتِ ثُمَّ اتَّقَوْا وَآمَنوا ثُمَّ اتَّقَوْا وَأحْسَنوا وَاللهُ يُحِبُّ الُمحْسِنينَ)[٢٣].

فعلى الطبيب أن يتّقى الله فى كلّ حالاته ، لا سيّما فى مجال عمله ، وفيما يفعله بالمريض ، وينصح فيه ، فيجتهد فى معالجته ولا يتململ ولا يتساهل على الإطلاق ، ويكون ناصحاً لا يغشّ مريضه ، وذلك من تقوى الله فى المريض ، فالتقوى من أهمّ العوامل والدوافع ليقوم الإنسان بواجباته الشرعيه والإنسانيه على النحو الأتمّ والأفضل والأكمل.

ولمثل هذا يقول أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « من تطبّب فليتّقِ الله ولينصح وليجتهد»[٢۴] ، فقدّم التقوى على النصح والاجتهاد ، وهذا يعنى أنّ الطبيب بأمسّ الحاجه إلى هذه التقوى حتّى لا يفرّط فيما اُلقى على عاتقه من المسؤوليه الكبرى.

وإليك بعض الروايات الشريفه من معدن الوحى وبيت الرساله الأطهار (عليهم السلام) فى عظمه التقوى وأهمّيتها البالغه فى حياه المسلم.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« من رزق التقوى ، رزق خير الدنيا والآخره».

« من اتّقى الله عاش قويّاً ، وسار فى بلاد عدوّه آمناً».

« إنّ ربّكم واحد ، وإنّ أباكم واحد ، ودينكم واحد ، ونبيّكم واحد ، ولا فضل لعربىّ على عجمىّ ، ولا عجمى على عربىّ ، ولا أحمر على أسود ، ولا

أسود على أحمر ، إلّا بالتقوى».

« الحمد لله الذى صدق عبده ... إنّ الله أذهب نخوه العرب وتكبّرها بآبائها ، وكلّكم آدم وآدم من تراب ، وأكرمكم عند الله أتقاكم».

« لا كرم إلّا بالتقوى ، لو أنّ السماوات والأرض كانتا رتقاً على عبد ، ثمّ اتّقى الله لجعل الله له منهما فرجاً ومخرجاً».

وقال أمير المؤمنين (عليه السلام):

« التقوى رئيس الأخلاق».

« عليك بالتُقى ، فإنّه خُلق الأنبياء».

« التقوى أقوى أساس ، والصبر أقوى لباس».

« التقوى أفضل الأعمال».

« التقوى لا عوض عنها ولا خلف».

« التقوى أفضل كنز ، وأحرز حرز ، وأعزّ عزّ».

« والتقوى فيه نجاه كلّ هارب ، ودرك كلّ طالب ، وظفر كلّ غالب».

« إنّ من فارق التقوى أُغرى باللذات والشهوات ووقع فى تيه السيّئات ، ولزمه كثير التبعات».

« أيسرّكَ أن تكون من حزب الله الغالبين ؟ اتّقِ الله سبحانه وأحسن فى كلّ أُمورك ، فإنّ الله مع الذين اتّقوا والذين هم محسنون».

« أوصاكم الله بالتقوى ، وجعلها منتهى رضاه ، وحاجته من خلقه ، فاتّقوا الله الذى أنتم بعينه ، ونواصيكم بيده».

« التقوى منتهى رضا الله من عباده ، وحاجته من خلقه».

« أُوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإنّها خير ما تواصى العباد به ، وخير عواقب الأُمور عند الله».

« أُوصيكم عباد الله بتقوى الله ، فإنّها الزمام والقوام ، فتمسّكوا بوثائقها ، واعتصموا بحقائقها».

« أُوصيكم عباد الله بتقوى الله فإنّه غبطه الطالب ، وثقه الهارب اللاجى ، واستشعروا التقوى شعاراً باطناً».

« ألا فصونونها وتصوّنوا بها ، من تعرّى عن لباس التقوى لم يستتر بشىء من أسباب الدنيا».

« التقوى حصن المؤمن ، وأمنع حصون الدين التقوى».

« إلجأوا إلى التقوى ، فإنّه جُنّه منيعه من

لجأ إليها حصنته ، ومن اعتصم بها عصمته ، فاعتصموا بتقوى الله ، فإنّ لها حبلا وثيقاً عروته ، ومقعلا منيعاً ذروته».

« التقوى مفتاح الصلاح».

« ما أصلح الدين كالتقوى».

« إنّ تقوى الله عماره الدين وعماد اليقين».

« وإنّها لمفتاح صلاح ومصباح نجاح».

« إنّ تقوى الله مفتاح سداد وذخيره معاد ، وعتق من كلّ ملكه ، ونجاه من كلّ هلكه ، بها ينجح الطالب ، وينجو الهارب ، وتنال الرغائب».

« سبب صلاح الإيمان التقوى».

« إنّ تقوى الله حمت أولياء الله محارمه ، وألزمت قلوبهم مخافته ، حتّى أسهرت لياليهم ، وأظمأت هواجرهم ، فأخذوا الراحه بالنصب ، والرِّيّ بالظمأ ، واستقربوا الأجل فبادروا العمل».

« ومن غرس أجار التقى جنى ثمار الهُدى».

« للمتّقى هدىً فى رشاد ، وتحرّج عن فساد ، وحرص فى إصلاح».

« معاد التقوى ظاهره شرف الدنيا وباطنه شرف الآخره».

« لا كرم أعزّ من التقوى».

« إنّ تقوى الله دواء داء قلوبكم ، وبصر عمى أفئدتكم ، وشفاء مرض أجسادكم ، وصلاح فساد صدوركم ، وطهور دنس أنفسكم ، وجلاء غشاء أبصاركم ، وأمن فزع جأشكم ، وضياء سواد ظلمتكم».

« داووا بالتقوى الأسقام ، وبادروا بها الحمام».

« التقوى آكد سبب بينك وبين الله إن أخذت به ، وجُنّه من عذاب أليم».

« لا يقلّ مع التقوى عمل ، وكيف يقلّ ما يتقبّل ؟».

« صفتان لا يقبل الله سبحانه الأعمال إلاّ بهما : التقى والإخلاص».

« من اتّقى الله سبحانه جعل له من كلّ همّ فرجاً ومن كلّ ضيق مخرجاً».

« من أخـذ بـالتقوى عَزَبت عنه الشدائـد بعـد دنوّهـا ، واحلـولت له الأُمور بعـد مرارتهـا ، وانفرجت عنه الأمـواج بعـد تراكمهـا ، وأسهلت له الصعاب بعد إنصابها».

« اعلموا أ نّه (

مـن يتّـقِ الله يجعـل لـه مخرجـاً) مـن الفتن ، ونـوراً من الظلم ، ويخلّـده فيمـا اشـتهت نفسه ، وينزل منزل الكرامه عنـده ، فى دار اصطنعها لنفسه ، ظلّها عرشه ، ونورها بهجته ، وزوّارها ملائكته ، ورفقاؤها رسله».

قال الله تعالى:

(يا أ يُّها الَّذينَ آمَنوا اتَّقوا اللهَ حَقَّ تُقاتِهِ وَلا تَموتُنَّ إلاّ وَأنْتُمْ مُسْلِمونَ)[۲۵].

لاـ يخفى مـا ذكرناه عن الرسول الأكرم وأمير المؤمنين (عليهما السـلام) إنّما هو غيض من فيض ، فعنـدنا الاُلوف من الأخبار فى التقوى من جوانب عديده من الرسول الأكرم وعترته الطاهرين (عليهم السلام)[۲۶] ، إلاّ أ نّه نكتفى بهذا المقدار طلباً للاختصار.

---

[۱] الإسراء : ۸۰ .

[۲] السجده : ۹.

[۳] الرعد : ۲۹.

[۴] البحار ۵۹ : ۷۴ ، المستدرک ۳ : ۱۲۷. ۵] أخلاق الطبيب : ۱۹.

[۶] البقره : ۲۸۲.

[۷] الوسائل ، الجزء ۱۸.

[۸] لقد تعرّضنا إلى شىء من التفصيل حول التقوى فى رساله « كلمه التقوى فى القرآن الكريم» ، وهى مطبوعه ، فراجع.

[۹] ميزان الحكمه ۸ : ۲۴۳.

[۱۰] الأعراف : ۲۰۱.

[۱۱] آل عمران : ۷۶.

[۱۲] المائده : ۲۷.

[۱۳] النحل : ۱۲۸.

[۱۴] الحجرات : ۱۳.

[۱۵] مريم : ۶۳.

[۱۶] الزمر : ۶۱.

[۱۷] الأعراف : ۲۶.

[۱۸] الطلاق : ۵.

[۱۹] هود : ۱۰۸.

[۲۰] الأنفال : ۲۹.

[۲۱] البقره : ۲.

[۲۲] الشمس : ۷ _ ۱۰.

[۲۳] جامع السعادات ۲ : ۱۸۶ ، والآيه من سوره المائده : ۹۶.

[۲۴] البحار ۶۲ : ۷۴.

[۲۵] آل عمران : ۱۰۲.

[۲۶] نقلت الروايات من ميزان الحكمه ۱۰ : ۶۱۸ _ ۶۶۴ ، عن البحار ۷۳ ، وغرر الحكم ، ونهج البلاغه ، فراجع.

(۲)

الرحمه

إنّ أسماء الله وصفاته توقيفيه ، وقد بلغت الألف ونيّف ، وكلّها تدلّ على الرحمه

الرحمـانيه والرحيميـه ، أى الرحمه العـامّه ، كالرحمـان فإنّهـا للمـؤمن والكـافر فى الـدنيا والرحمه الخـاصّه ، كـالرحيم المختصّ ه بالمؤمنين ، فكلّ أسـماء الله تـدلّ على الرحمه العامّه والخاصّه ، إلاّ بعضـها التى تعـدّ بالأصابع كالقهّار والمنتقم وشديد العقاب . فهى وإن دلّت على الغضب الإلهى إلاّ أ نّها فى واقعها وصميمها ترجع إلى الرحمه أيضاً ، كما هو مذكور فى محلّه.

والحقّ أنّ مثل هذه الأسـماء أيضاً من الرحمه الإلهيه ، فيا من سـبقت رحمته غضـبه ، وإنّه أرحم الراحمين ، وإنّ الرحمه والشفقه القلبيه والحنـان والعطوفه من الصـفات الحميـده والأخلاـق الطيّبه ، فمـا أكثر الآيات والروايات التى تحثّ الإنسان على أن يتخلّق بهذه الصـفه المباركه « إرحم من فى الأرض يرحمك من فى السـماء» ، فالرحمه من كلّ واحد حسـناً إلاّ أ نّه من الطبيب بالنسبه إلى مرضـاه أحسن ، فلاـ بـدّ للطبيب فى نظر الإسـلام أن يكون رحيمـاً ، تتجلّى الرحمه الإلـهيه فى حركاته وسـكناته ، فى أقواله وأفعـاله ، ويتعامـل مع المريض بكـلّ رفق وشـفقه ورحمه ، فـإنّه يحتـاج إلى رحمه الطـبيب أكثر من كـلّ شـىء فى مقـام شـفائه وعلاجه.

فالطبيب إنّما هو من مظاهر رحمه الله:

(فَبِما رَحْمَه مِنَ اللهِ لِنْتَ لَهُمْ وَلَوْ كُنْتَ فَظّاً غَليظَ القَلْبِ لانْفَضُّوا مِنْ حَوْلِكَ)[١].

وجاء فى الطبّ الروحانى لمحمّد بن زكريا الرازى : « إنّ السيره التى بها سار ،

وعليها مضـى أفاضل الفلاسفه ، هى بالقول المجمل : معامله الناس بالعدل والأخذ عليهم من بعد ذلك بالفضل ، واستشعار العفّه والرحمه والنصح للكلّ ، والاجتهاد فى نفع الكلّ إلاّ من بدأ منهم بالجور والظلم»[٢].

فالعمده فى أخلاق الطبيب أن يستشعر من قلبه الرحمه والشفقه وهى العاطفه التى إذا تحلّى بها

الطبيب انشرح بها صدره وشعر بلذّه وسرور فى عمله ، فحينئذ يحسّ بسعاده وشغف وارتياح ضمير ، حينما يحنّ قلبه على المرضى ويشفق على من يعالجه ، ويتعامل معه بكلّ رفق ولين.

وإليك نماذج من الآيات والروايات الشريفه الدالّه على الرحمه والشفقه القلبيّه:

قال الله تعالى:

(مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ وَالَّذينَ مَعَهُ أشِدَّاءُ عَلى الكُفَّارِ رُحَماءُ بَيْنَهُمْ)[٣].

(وَجَعَلْنا فى قُلوبِ الَّذينَ اتَّبَعوهُ رَأفَهً وَرَحْمَه)[۴].

(وَتَواصَوْا بِالرَّحْمَهِ)[۵].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« الراحمون يرحمهم الرحمن يوم القيامه ، ارحم من فى الأرض يرحمك من فى السماء».

« من رحم ولو ذبيحه عصفور رحمه الله يوم القيامه».

« من لا يَرحم لا يُرحم».

« إنّ الله رحيم يحبّ الرحيم يضع رحمته على كلّ رحيم».

« إرحم المساكين».

« يا أنس ، ارحم الصغير ووقّر الكبير تكن من رفقائى».

« ارحموا عزيزاً ذلّ ، وغنياً افتقر ، وعالماً ضاع فى زمان جهّال».

وقال أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« أحسن يحسن إليك ، إرحم ترحم».

« وإنّما ينبغى لأهل العصمه والمصنوع إليهم فى السلامه أن يرحموا أهل الذنوب والمعصيه ، ويكون الشكر هو الغالب عليهم».

« من لا يرحم الناس منعه الله رحمته».

« ارحم من أهلك الصغير ووقّر الكبير»[۶].

---

[۱] آل عمران : ۱۵۹. ۲] أخلاق الطبيب : ۲۷.

[۳] الفتح : ۲۹.

[۴] الحديد : ۲۷.

[۵] البلد : ۱۷.

[۶] ميزان الحكمه ۴ : ۶۸.

(۳)

حسن الخُلق

من أهمّ أخلاق الطبيب حسن الخلق وطلاقه الوجه والبشاشه ، فإنّها محبّذه من كلّ واحد ، فإنّ المؤمن هشّ بشّ ، بشره فی وجهه وحزنه فی قلبه ، وما أكثر الآيات والروايات الشريفه الدالّه على ذلك.

فإنّ حسن الخلق يوجب سعاده الدارين ، ويزيد فی الرزق ، ويجلب حبّ الناس ومودّتهم ، ويعين على التقدّم والازدهار ، ومن ساء

خلقه فرّ الناس منه ، وأضرّ بصرح سعادته ، وفى الحديث الشريف : « ليس شىء فى الميزان أثقل من حسن الخلق».

« والخُلق بمعنى الطبيعه والنظره والسجيّه ، وهو الدين والطبع ، وحقيقته أ نّه لصوره الإنسان الباطنه وهى نفسه وأوصافها ومعانيها المختصّه بها بمنزله الخلق لصورته الظاهره وأوصافها ومعانيها ولهما أوصاف حسنه وقبيحه ، والثواب والعقاب يتعلّقان بأوصاف الصوره الباطنه ، أكثر ممّا يتعلّقان بأوصاف الصوره الظاهره ، ولهذا تكرّرت الأحاديث فى مدح حسن الخلق فى غير موضع كقوله : « من أكثر ما يدخل الناس الجنّه تقوى الله وحسن الخلق» ، وقوله : « أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً» ، وقوله : « إنّ العبد ليدرك بحسن خلقه درجه الصائم القائم» ، وقوله : « بعثت لُأتمّم مكارم الأخلاق» وكذلك ورد فى ذمّ سوء الخلق أيضاً أحاديث كثيره ، وفى حديث عائشه عن رسول الله : « كان خلقه القرآن» أى كان متمسّكاً به وبآدابه وأوامره ونواهيه وما يشتمل عليه من المكارم والمحاسن والألطاف ....

وخالق الناس : عاشرهم على أخلاقهم ، قال:

خالق الناس بخلق حسن *** لا تكن كلباً على الناس يهرّ»[١]

فالخَلق ــ بفتح الخاء المعجمه ــ والخُلق ــ بضمّها ــ يشتركان فى الأصل ، إلاّ أ نّها مع الفتح بمعنى الهيئه الظاهريه ، ومع الضمّ بمعنى البواطن والسجايا ، وتطلق على الأفعال والملكات والصفات ، وبإضافتها إلى الحسن والسوء تميّز الأخلاق الطيّبه من الذميمه والسيّئه ، وربما يقال هذا عمل أخلاقى ويراد به الحسن ، وهذا غير أخلاقى ويراد به السوء . ويمتاز العمل الأخلاقى عن العادى ، أ نّه يكون ممدوحاً ويصدر من الإنسان لرغبه ومن دون ترديد وشكّ وإكراه ،

يرافقه المدح العقلائى كالعفّه والتقوى وحسن الخلق والوفاء والسخاء وما شابه ذلك ، وهو إمّا أن يكون ذاتياً أو كسبيّاً ، تفصيل ذلك فى علم الأخلاق وفلسفته ، ثمّ الدين الإسلامى ليحثّ الناس إلى التخلّق بالأخلاق الحميده والسجايا الحسنه وحسن الخلق ، ويهتمّ بذلك غايه الاهتمام ، حتّى قيل من أوجب الواجبات تعلّم الأخلاق والتحلّى بها ، فإنّ الله سبحانه بعد أحد عشر قسماً يقول:

(قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاها وَقَدْ خابَ مَنْ دَسَّاها)[٢].

وهذا إن دلّ على شىء فإنّه يدلّ على عظمه علم الإخلاق وأهميّته البالغه على الفرد وفى المجتمع ، فلولا ذلك لانهار وانحطّ ، حتّى يؤدّى ذلك إلى هلاكه وانهدامه.

والطبيب إنّما يحتاج إلى الأخلاق الفاضله ، لأ نّه من الأركان الأساسيه فى تعمير المدينه الفاضله ودوامها وسعادتها ، كما إنّه يفتقر إلى التكامل فى سيره وسلوكه ، وإنّه مكلّف بحفظ سلامه الناس ، فإذا لم يكن متخلّقاً بالأخلاق الحسنه ، كما لو تبع شهواته وملاذّه ، وغرّته الدنيا فى مقامها ومالها ووجاهتها ، فإنّه يوجب الإخلال فى حفظ النظام وسلامه المجتمع ، فلا بدّ أن يكون الطبيب مؤمناً ومعتقداً ومتّقياً ، يحمل الأخلاق الطيّبه ، والسجايا الجميله.

ومع ظهور الطبّ وعلمه الشريف كان الحديث حول أخلاق الطبيب وما يلزمه فى مقام العمل والحرفه . كما جاء ذلك فى قسم بقراط اليونانى وفى الطبّ الهندى القديم . كما جاء ذلك فى الحمورابيه قبل ميلاد المسيح بألفين ومائتى سنه ، كما كتب الرازى الطبّ الروحانى وابن سينا فى علم الأخلاق وغيرهما من علماء الإسلام.

فحسن الخلق حسن من كلّ أحد ، إلاّ أ نّه من الطبيب أحسن ، لا سيّما فى مجال فنّه وعلمه ، فما أحوج المريض إلى

ابتسامه من طبيبه المعالج لأمراضه ؟ ! وربّ كلمه حلوه بلسم لجراحه ، كما أنّ الكلمه الجارحه وكلمه السوء أمضى من جرح السيف ، كما يقول الشاعر:

جراحات السنان لها التيامٌ *** ولا يلتام ما جرح اللسان

ومن حسن الخلق أن لا يذمّ مريضه ، ويفرط فى ملامته ، بل يتكلّم معه بقول ليّن وكلام لطيف ، فإنّ الله يأمر نبيّه موسى وأخاه هارون فى قصّه فرعون ودعوته إلى الله قائلا:

(إذْهَبا إلى فِرْعَوْنَ إنَّهُ طَغى فَقولا لَهُ قَوْلا لَيِّناً لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرَ أوْ يَخْشى)[٣].

فإذا كان الحديث مع مثل فرعون الطاغيه الذى ادّعى الربوبيه بلين ولطافه وحكمه ، فما بال الطبيب يغلظ فى كلامه ، ويجرح عواطف مريضه ، ويزيد فى المرض

الجسدى مرضاً روحيّاً.

فلا يكثر ملامه المريض ، فإنّ أمير المؤمنين على (عليه السلام) يقول : « الإفراط فى الملامه يشبّ نار اللجاجه»[۴] ، فكثره الملامه يوجب تهييج العناد ولجاجه الآخر ، ممّا يمنعه عن استماع الحقّ والانصياع له.

فعلى الطبيب أن يتجنّب المناقشات التى لا تعنيه والقضايا التى لا تخصّه ، ويحسن خلقه وسلوكه بتطهير النفس من الأخلاق الذميمه ، ثمّ الاتّصاف بالأخلاق الحميده.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : « خصلتان لا تجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق».

فمن حسن الخلق السخاء وعدم الغضب ، فإنّه ربما الغاضب يرتكب المعاصى والآثام ويتجاوز الحقّ والصواب.

وقد مدح الله:

(الكاظِمينَ الغَيْظَ وَالعافينَ عَنِ النَّاسِ وَاللهُ يُحِبُّ الُمحْسِنينَ)[۵].

وقد ورد فى الخبر : إذا غضب أحدكم وهو قائم فليجلس ، فإن ذهب عنه الغضب ، وإلاّ فليضطجع ، وإذا غضب أحدكم فليسكت» ، فإنّ الغضب شيطان العجله.

ولتثبيت مفهوم حسن الخلق فى النفوس نذكر جمله من الروايات الشريفه فى هذا الباب ،

وهو غيض من فيض:

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« الإسلام حسن الخلق».

« الخلق الحسن نصف الدين». حسن الخلق ذهب بخير الدنيا والآخره».

« ثلاث من لم تكن فيه فليس منّى ولا من الله عزّ وجلّ ، قيل : يا رسول الله ، وما هنّ ؟ قال : حلم يردّ به جهل الجاهل ، وحسن خلق يعيش به فى الناس ، وورع يحجزه عن معاصى الله».

« من حسن خلقه بلّغه الله درجه الصائم القائم».

« إنّ العبد ليبلغ بحسن خلقه عظيم درجات الآخره وشرف المنازل ، وإنّه لضعيف العباده».

« أوّل ما يوضع فى ميزان العبد يوم القيامه حسن خلقه».

« ما من شىء أثقل فى الميزان من خُلق حسن».

« ما يوضع فى ميزان امرئ يوم القيامه أفضل من حُسن الخُلق».

« إنّ أحبّكم إلىَّ وأقربكم منّى يوم القيامه مجلساً أحسنكم خلقاً وأشدّكم تواضعاً».

« أكمل المؤمنين إيماناً أحسنهم خلقاً».

« إنّ الله يحبّ معالى الأخلاق ويكره سفاسفها». حسن الخلق يثبت المودّه».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« لا قرين كحسن الخلق».

« الخلق المحمود من ثمار العقل ، الخلق المذموم من ثمار الجهل». حسن الخلق من أفضل القسم وأحسن الشيم». حسن الخلق رأس كلّ بِرّ».

« من حسنت خليقته طابت عشرته». حسن الخلق فى ثلاث : اجتناب المحارم وطلب الحلال والتوسّع على العيال».

« إنّ بذل التحيّه من محاسن الأخلاق».

« عليكم بمكارم الأخلاق فإنّها رفعه ، وإيّاكم والأخلاق الدنيّه فإنّها تضع الشريف وتهدّم المجد». حسن الخلق يدرّ الأرزاق

ويؤنس الرفاق».

قيـل للصـادق (عليه السـلام) : ما حـدّ حسن الخلق ؟ قال : « تلين جانبك ، وتطيّب كلامك ، وتلقى أخاك ببشـر حسن». حسـن الخلق يزيد فى الرزق».

« إنّ

حسن الخلق يذيب الخطيئه كما تذيب الشمس الجليد ، وإنّ سوء الخلق ليُفسد العمل كما يفسد الخلّ العسل».

« من حسن خلقه كثر محبّوه ، وآنست النفوس به».

« لا وحشه أوحش من سوء الخلق».

« خصلتان لا يجتمعان فى مؤمن : البخل وسوء الخلق».

« من ساء خلقه عذّب نفسه».

« من ساء خلقه ملّه أهله ، أعوزه الصديق والرفيق ، ضاق رزقه».

« أحسن الأخلاق ما حملك على المكارم».

« إنّ أزين الأخلاق : الورع والعفاف»[۶].

---

[۱] لسان العرب ۱۰ : ۸۶.

[۲] الشمس : ۸ .

[۳] طه : ۴۳ _ ۴۴.

[۴] غرر الحكم : ۷۰.

[۵] آل عمران : ۱۲۴.

[۶] الروايات من ميزان الحكمه ۳ : ۱۳۵ _ ۱۵۸ ، فراجع.

(۴)

الاجتهاد والمشوره

على الطبيب أن يجتهد فى طبابته ولا ـ يتهاون فى معالجه المرضى ، أو يجعلهم مخبراً للامتحانات ، ويجرى عليهم اختبارات وتجارب لنظريّاته وكشفيّاته الظنيه والوهميه ، فإنّه لا ـ يجوز لمن لم يكن من أهل الخبره أن يبدى نظراً فى غير ما عنده ، فإنّ ذلك يعدّ من الخيانه وليست الخدمه ، فبعض العوامّ يتطبّبون من تلقاء أنفسهم ، ويجوّزون نسخ طبّيه للمرضى ، وكأ نّهم خبراء وأطباء حاذقين ، بل الطبيب يصعب عليه ذلك من دون الممارسه والمجاهده والاجتهاد فى تشخيص المرض وكيفيه علاجه . كما إذا احتاج الطبيب إلى مشوره طبيه فلا ـ يغفل عن ذلك ، ولا ـ يغترّ بنفسه ويعجب بها ، فيفقد اتّزانه ووقاره ، ويتهاون فى

معـالجه مريضـه ، ومـن شـاور العقلاـء كسـب عقـولهم ، وفى بعض المـوارد يحتـاج الطـبيب إلى اللجنه الطـبيه ومشـاوره زملاـئه والدكاتره الآخرين.

كما أ نّه يحاول ابتداء أن يكشف الأمراض من خلال خبرته الطبيه وحدسه وعقله ، فإن لم يصل إلى التشخيص

الكامل عندئذ يستعين بالمختبرات والتحاليل الطبيه وما شابه ذلك . فإنّه فى قديم الزمان كان الأطباء بعقولهم وحدسيّاتهم يشاهد منهم ما يحيّر العقول فى فنّ الطبّ ، ولا اختيار للإنسان إلاّ بعقله وثقافته.

ويقبح بالطبيب أن يكون كسولا عاجزاً فرحاً أشراً بطراً:

(إنَّ اللهَ لا يُحِبُّ الفَرِحينَ)[١].

وفى الخبر الشريف : « المؤمن القوىّ خير وأحبّ إلى الله من المؤمن الضعيف» ، وقد تزوّج التوانى بالكسل فولد بينهما الفقر ، وإنّ الله يبغض الشابّ الفارغ ، فلا بدّ من المثابره والاجتهاد ، ويغدو الإنسان عالماً ربانياً أو متعلّماً على سبيل النجاه.

ولا ـ تقفُ ما ليس لكَ به علم ، وقد وردت الآيات والروايات الكثيره فى المنع عن القول بغير علم والردع عنه ، وهذا واضح لا يحتاج إلى برهان ودليل.

ثمّ إذا كان الطبيب مختصّاً فى عضو من أعضاء بدن الإنسان كأمراض العين ، فلا يحقّ له أن يبدى نظره فى أمراض القلب مثلا ، فإنّه لو فعل يعدّ من جهّال الأطباء.

فلا بدّ للطبيب من الاجتهاد فى علمه وعمله ، فعن أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « من تطبّب فليتّقِ الله ولينصح وليجتهد»[٢].

فلا يجوز للطبيب أن يتعلّل ويتساهل فى معالجه المريض ، ومن يفعل ذلك فإنّه يكون من المرضى ، بل أكثر مرضاً من مريضه ، لأنّ مثل هذا الطبيب يكون مريض الروح ، وعلاجه أصعب من علاج مرض الجسد ، ويصدق عليه المثل المعروف « طبيب يداوى الناس وهو عليل».

فعلى الطبيب أن يراعى جميع الأخلاقيات الحسنه الفرديه والاجتماعيه ، وفى مقدّمتها تقوى الله سبحانه ، وما أدراك ما التقوى ، فإنّه بتقوى الله يندفع الإنسان ويسعى بكلّ جهده وجهوده إلى القيام بواجباته الإنسانيه والدينيه على النحو الأفضل والأكمل

والأتمّ ، ولهذا قدّم أمير المؤمنين (عليه السلام) التقوى على النصح والاجتهاد.

ومن الاجتهاد الاستحكام فى العمل وإنّ « الله يحبّ عبداً إذا عمل عملا

أحكمه وأتقنه» ، كما روى ذلك عن النبىّ الأكرم فى قصّه دفن سعد بن معاذ.

ويقول على بن العباس ناصحاً : « على الطبيب أن يجدّ فى معالجه المرضى وحسن تدبيرهم ومعالجتهم سواء بالغذاء أو بالدواء».

وكلّ ناصح عليه أن يبدأ بنفسه أوّلا ، حتّى يكون كلامه مؤثّراً فى غيره ، فإنّ الكلام إذا خرج من القلب دخل فى القلب ، وإذا خرج من اللسان فإنّه لم يتجاوز الآذان.

يقول أبو الأسود الدؤلى:

يا أ يّها الرجل المعلّم غيره *** هلاّ لنفسک كان ذا التعليم

تصف الدواء لذى الأسقام وذى الضنا *** كيما يصحّ به وأنت سقيم

ومن يجرّ الداء إلى نفسه كيف يكون ناصحاً لغيره ، فإنّه لن يحبّ غيره أكثر من محبّته لنفسه كما هو واضح ، فلن يستطيع أن ينفع غيره ويضرّ نفسه.

وعن عيسى بن مريم (عليه السلام) : « فإذا رأيتم الطبيب يجرّ الداء إلى نفسه فاتّهموه واعلموا أ نّه غير ناصح لغيره»[٣].

وهذه بعض الروايات فى الاجتهاد والمشوره :

فمن الأوّل:

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

« من بلغ جُهد طاقته بلغ كُنه إرادته».

« من طلب شيئاً ناله أو بعضه».

عن الإمام الرضا (عليه السلام):

« سبعه أشياء بغير سبعه أشياء من الاستهزاء : من استغفر بلسانه ولم يندم بقلبه فقد استهزأ بنفسه ، ومن سأل الله التوفيق ولم يجتهد فقد استهزأ بنفسه ...».

عن الأمير (عليه السلام):

« من قصّر فى العمل ابتلاه الله سبحانه بالهمّ».

« من قصّر فى أيّام أمله قبل حضور أجله ، فقد خسر عمره وضرّه أجله».

« التفريط مصيبه القادر».

« من استدام قرع الباب ولجّ ، ولج».

«

عليكم بالجدّ والاجتهـاد ، التـأهّب والاسـتعداد ، والتزوّد فى منزل الزاد ، ولاـ تغرّنكم الـدنيا كمـا غرّت من كان قبلكم من الاُمم الماضيه والقرون الخاليه».

« اجتهدوا فى العمل ...».

قال الله تعالى:

(وَمَنْ يُجاهِدْ فَإنَّما يُجاهِدُ لِنَفْسِهِ إنَّ اللهَ لَغَنِيٌّ عَنِ العالَمينَ)[۴].

ومن الثانى:

قال الله تعالى:

(وَأمْرُهُمْ شورى بَيْنَهُمْ)[۵].

(وَشاوِرْهُمْ فى الأمْرِ)[۶].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« ما حار من استخار ، ولا ندم من استشار».

« الحزم أن تستشير ذا الرأى وتطيع أمره».

« ما من رجل شاور أحد إلاّ هُدى إلى الرشد».

« لا مظاهره أوثق من المشاوره».

« لاـ تشـاور جبانـاً فـإنّه يضـيّق عليك المخرج ، ولا تشاور البخيل فإنّه يقصـر بك عن غايتك ، ولا تشاور حريصاً فإنّه يزيّن لك شرّها».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« من شاور ذوى العقول استضاء بأنوار العقول».

« المستشير متحصّن من السقط».

« المستشير على طرف النجاح».

« المشاوره راحه لك وتعب لغيرك».

« شاور قبل أن تعزم ، وفكّر قبل أن تقدم».

« لا يستغنى العاقل عن المشاوره».

« حقّ على العاقل أن يضيف إلى رأيه رأى العقلاء ، ويضمّ إلى علمه علوم الحكماء».

« لا تستشر الكذّاب فإنّه كالسراب يقرّب عليك البعيد ويبعّد عليك القريب».

« شاور فى أُمورك الذين يخشون الله ترشد».

قال الإمام الكاظم (عليه السلام):

« من استشار لم يعدم عند الصواب مادحاً ، وعند الخطأ عاذراً».

« مشاوره العاقل الناصح رشد ويمن وتوفيق من الله ، فإذا أشار عليك الناصح العاقل فإيّاك والخلاف ، فإنّ فى ذلك العطب».

« أفضل من شاورت ذوى التجارب».

« خير من شاورت ذوو النُهى والعلم وأُولو التجارب والحزم»[٧].

هـذه بعض الروايات الـدالّه على الاجتهاد والمشوره ، وهى عامّه ونافعه لكلّ الناس ، ولكن الحرىّ بها أكثر من غيره هو الطبيب ، فإنّه الأولى له أن

يجتهد أوّلا ـ ثمّ يستشير ذوى النهى والعلم واُولو التجارب والحزم ثانياً ، حتّى يكون موفّقاً فى حياته العلميه والعمليه ، ويعرف الداء والدواء ، وإلاّ فإنّه يكون كما قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : « ربما كان الدواء داء والداء دواء» ، ويقول زين العابدين : « من لم يعرف داءه أفسده دواؤه».

---

[١] القصص : ٧۶.

[٢] البحار ۶٢ : ٧۴.

[٣] البحار ٢ : ١٠٧.

[۴] الروايات من ميزان الحكمه ٢ : ١۴٧ ، والآيه من سوره العنكبوت : ۶.

[۵] الشورى : ٣٨.

[۶] آل عمران : ١۵٩.

[٧] الروايات من ميزان الحكمه ۵ : ٢١٠ ، فراجع.

عدم تخطئه الطبيب الآخر

فإنّ من الأخلاق الحسنه للأطباء أ نّه عندما يقف أحدهم على خطأ صاحبه وزميله فى الطبّ فى تشخيص مرض وكيفيه علاج أو تجويز دواء أو ما شابه ذلك ، فلا يخطئه أمام مريضه ، ويتهجّم عليه ويهينه ويستغيبه ، ممّا يؤدّى ذلك إلى فقد المريض ثقته بالطبيب ، بل بلطائف الكلام ومعاريضه ، يمكن أن يرشد المريض إلى صوابه ورشده وما فيه صلاحه وخيره ، كما يرشد الطبيب الآخر إلى العمل الصحيح والمعالجه الصحيحه بحكمه بالغه من دون جرح المشاعر والأحاسيس.

وقد ورد فى الخبر الشريف : « أحبّ الإخوان إليَّ من أهدى إليَّ عيوبى» ، أن يكون التذكّر والنصح على نحو الهدايا لا بقصد الفضيحه والتنقيص والتشهير.

ولا يكون الطبيب دنىّ النفس والطبع ، بل كريماً سمحاً عالى الهمّه ، ومن سماحته أن يذكّر إخوانه بما ينفعهم بلطف وإحسان ، فإنّ الذكرى تنفع المؤمنين لو كانت مع شرائطها الشرعيه والعقليّه.

وقال رسول الله : « اُمرت بمداراه الناس» « مداراه الناس صدقه» ، ومن أعظم ما يملك الناس به السماح والعطاء

، فإنّه يسترق به من لم يكن ينقاد ، فلا بدّ للطبيب من المخالطه الحسنه بالتلطّف والمداراه وإيفاء الحقوق والحلم عن الجهّال والعفو عمّن ظلمه والإيثار مع الحزم والعزم وحسن الفطنه والتعقّل الكامل والاجتهاد التامّ وطلب المعالى بسهر الليالى ، ومراعاه حقوق الآخرين ، ومنها عدم تخطئه الأطباء الآخرين أمام المريض ، وإذا كان يختلف معه فى التشخيص ، فالأولى له أن يخبره بذلك ، ويتشاوران فى معالجه المريض وسلامته ، فإنّ مقصودهما واحد ، لا سيّما وإنّهما يؤمنان بالله ورسوله ، ويقصدان من طبابتهما محض الخدمه والتقرّب إلى الله سبحانه وتعالى.

(۶)

الدقّه و التأنّى

من اللازم على كلّ واحد من الأطباء العموم والأخصّائيين ، أن يدقّقوا فى تشخيص الأمراض ومعرفه العلل ، كماعليهم التأنّى وعدم العجله فى تجويز النسخه الطبيه واستعمالها (فإنّ العجله من الشيطان ، والتأنّى من الرحمن).

وهذا ممّا يحتّم عليهم أن لا يتوقّفوا فى طلب العلم ، بل يسايروا الركب الحضارى والتقدّم البشرى فى مجالات الطبّ ، فالطبيب الناجح هو الذى يطالع أحدث المقالات العلميه والمجلّات الطبيه العالميه ، والكتب الحديثه.

فعن الإمام الصادق (عليه السلام) : « كلّ ذى صناعه مضطرّ إلى ثلاث خصال يجتلب بها المكسب ، وهو أن يكون حاذقاً بعلمه ، مؤدّياً للأمانه فيه ، مستميلا لمن استملّه»[۱].

وإنّما يكون الطبيب حاذقاً فى طبّه ، لو لم يتساهل أو يتكاسل أو يتهاون فى طلب علمه ، كما إنّه لو تطبّب من دون علم فهو ضامن ، لو أتلف مريضه أو أوجب فيه نقصاً ، كما ورد فى الخبر الشريف « من تطبّب ولم يعلم منه الطبّ فهو ضامن»[۲].

« من تطبّب ولم يكن بالطبّ معروفاً فإذا أصاب نفساً فما دونها

فهو ضامن».

ويقول الرازى : « ودع ما يهـذى به جهّال العامّه ، أنّ فلاناً قد وقعت له التجربه فى غير علم يرجع إليه ، فإنّ ذلك لا يكون ولو كان من أطول الناس عمراً ،

وما نفع له من علاج موافق فهو من حسن الاتّفاق.

فأعلى درجات هؤلاء الذين ليسوا يرجعون إلى علم اُصول الصناعه ، إنّهم ينظرون فى الكتب فيستعملون منها العلاجات وليسوا يعلمون أنّ الأشياء الموجوده فيها ، ليست هى أشياء تستعمل بأعيانها ، بل هى مقالات جعلت ليحتذى عليها وتعلّم الصناعه منها»[۳].

فلا يحقّ للطبيب أن يعالج المرض بالتجربه عليهم واختبار الدواء فيهم ، من دون علم ودقّه وتأنٍّ.

« وقد نهى عن ذلك المعلّم الحكيم أبقراط حين ابتدأ فقال : العمر قصير والصناعه طويله والزمان جديد والتجربه خطر ، فقد صدق لعمرى فى قوله : وإنّى أنهى عن التجربه فى صناعه الطبّ»[۴].

« واعلم أنّ اللصوص وقطّاع الطريق خير من اُولئك النفر الذين يدّعون الطبّ وليسوا بأطبّاء ، لأ نّهم يذهبون بالمال وربما أتوا على الأنفس ، وهؤلاء كثيراً ما يأتون على الأنفس النفيسه ... فإنّ من أصعب الاُمور التحكيم على الأرواح بغير معرفه والأمر بشىء والنهى عن غيره من غير بصيره»[۵].

فعلى الطبيب أن يتحرّى الدقّه التامّه فى إجراء الفحوصات على المريض ، وهذا ما يحكم به العقل من الأمانه ومن المشاعر الإنسانيه ، كما حكم به الشرع المقدّس.

ولنا روايات كثيره فى مذمّه العجله وإنّها من الشيطان ، ومدح التأنّى وأ نّه من

الرحمن.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« من تأنّى أصاب أو كاد ، ومن عجل أخطأ أو كاد».

« التؤدّه فى كلّ شىء خير إلاّ فى عمل الآخره».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« العجل يوجب

العثار».

« الزلل مع العجل».

« أنهاك عن التسرّع فى القول والفعل».

« العجول مخطئ وإن ملك ، المتأنّى مصيب وإن هلك».

« التأنّى فى العقل يؤمن الخطل ، التروّى فى القول يؤمن الزلل».

« إذا عرض شىء من أمر الآخره فابدأ به ، وإذا عرض شىء من أمر الدنيا فتأنّه حتّى تصيب رشدك فيه».

« التؤدّه ممدوحه فى كلّ شىء إلاّ فى فرص الخير».

« إيّاك والعجله بالاُمور قبل أوانها والتساقط فيها عند زمانها».

« من الخرق العجله قبل الإمكان والأناه بعد الفرصه».

« العجل قبل الإمكان يوجب الغصّه».

قال الإمام الباقر والصادق (عليهما السلام):

« إنّما أهلك الناس العجله ، ولو أنّ الناس تثبّتوا لم يهلك أحد».

« الأناه من الله ، والعجله من الشيطان».

« مع التثبت تكون السلامه ، ومع العجله تكون الندامه».

« من ابتدأ بعمل فى غير وقته كان بلوغه فى غير حينه».

قال الله تعالى:

(خُلِقَ الإنْسانُ مِنْ عَجَل سَاُريكُمْ آياتى فَلا تَسْتَعْجِلونَ)[۶].

---

[۱] تحف العقول : ۲۳۸.

[۲] كنز العمّال ۱۰ : ۱۶. ۳] أخلاق الطبيب : ۷۶. ۴] أخلاق الطبيب : ۷۶.

[۵] المصدر : ۸۲.

[۶] الإسراء : ۱۱ ، والروايات من ميزان الحكمه ۶ :۷۲.

(۷)

الثبات

فإنّ الاستقامه والثبات فى العمل والخلق الرفيع من أنجح الطرق لنيل الكمال وصعود قُلل السعاده ، إنّما يفلح من ثابر وصمد وثبت ، فلا ييأس إذا اعترضه شىء من العقبات فى طريقه ، ولا يعيقه العوائق ، فإنّه لا معنى لليأس مع الحياه ، ولا حياه مع اليأس.

بل بكلّ قوّه وربط جأش يرفع الأقدام ويقود العربه فى سبيل النجاح ، ولا تثبط عزيمته النباح ، فيقوم بالواجب وهو ما لزم الإنسان عمله مسترشداً بضميره.

وإنّ الله سبحانه أمر نبيّه أن يثبت فى دعوته الإلهيه:

(وَاسْتَقِمْ كَما اُمِرْتَ)[۱].

(إنَّ

الَّذينَ قالوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقاموا فَلا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ)[۲].

(وَكُلا نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أنْباءِ الرُّسُلِ ما نُثَبِّتُ بِهِ فُؤادَكَ)[۳].

(يُثَبِّتُ اللهُ الَّذينَ آمَنوا بِالقَوْلِ الثّابِتِ فى الحَياهِ الدُّنْيا وَفى الآخِرَهِ)[۴].

(وَلِيَرْبُطَ عَلىٰ قُلوبِكُمْ وَيُثَبِّتَ بِهِ الأَقْدامَ)[۵].

(قُلْ نَزَّلَهُ روحُ القُدُسِ مِنْ رَبِّكَ الحق لَيثبتَ الَّذينَ آمَنوا)[۶].

(يا أ يُّها الَّذينَ آمَنوا إنْ تَنْصُروا اللهَ يَنْصُرْكُمْ وَيُثَبِّتَ أقْدامَكُمْ)[۷].

(رَبَّنا أفْرِغْ عَلَيْنا صَبْراً وَثَبِّتْ أقْدامَنا)[۸].

---

[۱] الشورى : ۱۵.

[۲] الأحقاف : ۱۳.

[۳] هود : ۱۲۰.

[۴] إبراهيم : ۲۷.

[۵] الأنفال : ۱۱.

[۶] النمل : ۱۰۲.

[۷] محمّد : ۷.

[۸] البقره : ۲۵۰.

(۸)

العفّه

من كـان متّقيـاً لاـ محـاله يكون عفيفـاً ، فـإذا أعـددنا التقوى من أوّل أخلاـق الطبيب ، يعنى اشترطنا عفّته أيضاً ، وكـذلك باقى الصـفات ، فإنّ التقوى سـيّد الأخلاق ورأسـها ، ولكن نذكر بعض الصفات ونفرد له عنواناً ، لأهمّيته البالغه فى حياه الطبيب ، ولأ نّه لا بدّ أن يتجلّى فيه أكثر من غيره ، ومن تلك الصفات : العفّه.

وهى تعمّ كلّ الأعضاء والجوارح والجوانح ، فالعفّه لا تنحصر بعضو دون عضو ، بل على المرء أن يكون عفيفاً فى بصره ، بأن لا ينظر إلى ما حرّمه الله سبحانه ، وعفيفاً فى سمعه بأن لا يسمع المحرّمات ، وعفيفاً فى كلامه ، وعفيفاً فى بطنه وفرجه ويده ورجله ، وحتّى فكره وسلوكه وقلبه وجوانحه.

وربما أكثر الناس ابتلاءً بالنظر إلى ما يحرم فى الأحوال العاديّه النظر إليه هم الأطبّاء . فإنّما يجوز للطبيب أن ينظر بمقدار ما ترتفع به الضروره ، فإذا أمكنه أن يعالج المريض من خلال وصفه ، فإنّه يقتصر على ذلك ، ولا يجوز النظر ، وإذا كان بإمكانه أن يعالج بالنظر إلى دائره أضيق ، فلا يحقّ

له أن يتعدّى إلى ما زاد ، وإذا كان بالإمكان أن يعالج بالنظر إلى المرآه دون المباشره ، فلا يباشر ــ كما ورد ذلك فى الروايات ــ وإذا كانت المعالجه تتحقّق بالنظر فلا يحقّ له أن يلمس ما حرّم الله عليه.

يقول عليّ بن العباس ناصحاً : « وأن لا ـ ينظر إلى النساء بريبه سواء كان النظر للسيّده أم للخادمه ، ولا يدخل إلى منازلهنّ إلاّ للمداواه ... وعليه أن يكون رحيماً برىء النظره»[١].

وجاء فى قسم أبقراط : « وأحفظ نفسى فى تدبيرى على الزكاه والطهاره ــ إلى أن قال ــ وكلّ المنازل التى أدخلها ، إنّما أدخل إليها لمنفعه المرضى ، وأنا بحال خارجه عن كلّ جور وظلم وفساد إرادى مقصود إليه فى سائر الأشياء ، وفى الجماع للنساء والرجال الأحرار منهم والعبيد».

وقال محمد بن زكريا : وإذا عالج من نسائه أو جواريه أو غلمانه أحداً فيجب أن يحفظ طرفه ــ أى بصره ــ ولا يجاوز موضع العلّه . فقد قال الحكيم جالينوس فى وصيّته للمتعلّمين : ولعمرى لقد صدق فيما قال : على الطبيب أن يكون مخلصاً لله ، وأن يغضّ طرفه عن النسوه ذوات الحسن والجمال ، وأن يتجنّب لمس شىء من أبدانهنّ ، وإذا أراد علاجهنّ أن يقصد الموضع الذى فيه معنى علاجه ، ويترك إجاله عينه إلى سائر بدنها ، ورأيت من يتجنّب ما ذكرت فكبر فى أعين الناس ، واجتمعت إليه أقاويل الخاصّه والعامّه . قال : ورأيت من تعاطى النساء ، فكثرت قاله الناس فيه فتجنّبوه ورفضوه».

فالنظر إلى غير موضع الحاجه عند المعالجه يعدّ من الخيانه فى أعراض الناس ، فلا يجوز للطبيب أن ينظر إلى ما حرّم الله

وكذلك الطبيبه ، قال الله تعالى:

(قُلْ لِلْمُؤْمِنينَ يَغُضُّوا مِنْ أبْصارِهِمْ وَيَحْفَظوا فُروجَهُمْ ذلِكَ أزْكى لَهُمْ إنَّ اللهَ خَبيرٌ بِما يَصْنَعونَ * وَقُلْ لِلْمُؤْمِناتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أبْصارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُروجَهُنَّ وَلا يُبْدينَ زينَتَهُنَّ إلاّ ما ظَهَرَ مِنْها ...)[٢].

ويحرم على الطبيب أن يخلو مع الأجنبيه ، ويوجب بطلان الصلاه لو أرادها فى ذلك المكان كما أفتى الفقهاء بذلك ، حسب الشرائط المذكوره فى الكتب الفقهيه.

ولا بأس أن نذكر نماذج من الآيات الكريمه والروايات الشريفه فى العفّه.

قال الله تعالى:

(وَمَنْ كانَ غَنِيّاً فَلْيَسْتَعْفِفْ)[٣].

(يَحْسَبُهُمُ الجاهِلُ أغْنِياءَ مِنَ التَّعَفُّفِ تَعْرِفُهُمْ بِسيماهُمْ)[۴].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« إنّ الله يحبّ الحييّ المتعفّف ، ويبغض البذىّ السائل الملحف».

« أحبّ العفاف إلى الله عفّه البطن والفرج».

« أمّا العفاف ، فيتشعّب منه الرضا والاستكانه والحظّ والراحه والتفقّد والخشوع والتذكّر والتفكّر والجود والسخاء ، فهذا ما يتشعّب للعاقل بعفافه رضىً بالله وبقسمه».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« ألا وإنّ لكلّ مأموم إماماً ، يقتدى به ويستضىء بنور علمه ، ألا وإنّ إمامكم قد اكتفى من دنياه بطمريه ، ومن طعمه بقرصيه ، ألا وإنّكم لا تقدرون على ذلك ، ولكن أعينونى بورع واجتهاد وعفّه وسداد».

« ما المجاهد الشهيد فى سبيل الله بأعظم أجراً ممّن قدر فعفّ ، لكاد العفيف أن يكون ملكاً من الملائكه». العفّه شيمه الأكياس ، الشره سجيّه الأرجاس». العفّه رأس كلّ خير».

كان أمير المؤمنين صلوات الله عليه يقول:

« أفضل العباده العفاف».

« العفاف أفضل شيمه».

« العفاف يصون النفس وينزّهها عن الدنيا».

« عليك بالعفاف فإنّه أفضل شيمه الأشراف».

« زكاه الجمال العفاف».

« عفّوا عن نساء الناس تعفّ نساؤكم».

« كانت امرأه على عهد داود (عليه السلام) يأتيها رجل يستكرهها على نفسها ، فألقى

الله عزّ وجلّ فی قلبها ، فقالت له : إنّک لا تأتینی مرّه إلاّ وعنـد أهلک من یأتیهم ، فـذهب إلی أهله فوجد عند أهله رجلا ، فأتی به داود (علیه السـلام) ، فقـال : یا نبیّ الله ، أتی إلیَّ ما یؤتَ إلی أحـد ! قال : وما ذاک ؟ قال : وجـدت هـذا الرجل عنـد أهلی . فأوحی الله تعالی إلی داود (علیه السلام) : قل له : کما تدین تدان».

قال أمیر المؤمنین (علیه السلام):

« الحرفه مع العفّه خیر من الغنی مع الفجور».

وفی صفه المتّقین ، قال (علیه السلام):

« حاجاتهم خفیفه وأنفسهم عفیفه».

« إذا أراد الله بعبد خیراً عفّ بطنه وفرجه».

« أصل العفاف القناعه ، وثمرتها قلّه الأحزان».

« الرضا بالکفاف یؤدّی إلی العفاف».

« قدر الرجل علی قدر همّته ، وعفّته علی قدر غیرته».

« من عقل عفّ».

« ثمره العفّه الصیانه».

« من عفّ خفّ وزره ، وعظم عند الله قدره».

« من عفّت أطرافه حسنت أوصافه»

« بالعفاف تزکوا الأعمال».

« من اُتحف العزّه والقناعه حالفه العزّ».

« ینبغی لمن عرف نفسه أن یلزم القناعه والعفّه».

« إنّ أفضل العفّه الورع فی دین الله والعمل بطاعته ، وإنّی اُوصیک بتقوی الله فی أمر سرّک وعلانیتک»[۵].

---

[۱] الآداب الطبیه : ۱۱۹.

[۲] النور : ۳۰ _ ۳۱.

[۳] النساء : ۶.

[۴] البقره : ۲۷۳.

[۵] الروايات من ميزان الحكمه ۶ : ۳۵۸.

(۹)

التوكّل على الله

فإنّ من أخلاق المؤمن بالمبدأ والمعاد ، أن يتوكّل فى اُموره على الله سبحانه ، ومن يتوكّل على الله فهو حسبه ، وإنّه نعم المولى ونعم الوكيل ، وعلى الله فليتوكّل المؤمنون . ولا تنافى بين حسن التـدبير والتوكّل على الله ، فإنّ التدبير المذموم لو كان على نحو الاستقلال من

دون أن يعتقد أنّ هناك يد غيبيّه تسيّره وتتولّى أمره.

قال أمير المؤمنين على (عليه السـلام) : « عرفت الله بفسـخ العزائم ونقض الهمم» فكم من مرّه يعزم الإنسان على أمر ويهتمّ بشـىء ليفعله ، وسـرعان ما يطرأ عليه ليفسخ عزيمته وينقض همّته ، وليس ذلك من باب الصدفه ، إنّما هناك حكمه ربانيه وعنايه إلهيّه ويد غيبيّه ، تسيّر الاُمور بحكمه بالغه ودقّه ونظام.

قد وجد على ستار الكعبه مكتوباً أيام الإمام السجّاد (عليه السلام) ، وقد كتبه النبىّ خضر (عليه السلام):

لا تدبّر لك أمراً *** فأُولى التدبير هلكا

وكّل الأمر إلى من *** هو أولى منك أمرا

فمن يدبّر أمره على نحو الاستقلال واعتماداً على نفسه فقط ، فهذا من الهالكين ، وأمّا حسن التدبير مع التوكّل على الله ، كما قال الرسول الأكرم للرجل الذى لم يعقل ناقته توكّلا على الله كما زعم ذلك : « أعقل ثمّ توكّل» ، فإنّه لا ينكر.

والطبيب المؤمن لا بدّ له من أن يتخلّق بهذا الخلق الإيمانى ، بأن يتوكّل على ربّه فى طبابته ومعالجاته.

قال محمّـد بن زكريا الرازى : « ويتّكل الطبيب فى علاجه على الله تعالى ، ويتوقّع البرء منه ، ولا يحسب قوّته وعمله ، ويعتمد فى كلّ اُموره عليه ، فإذا فعل بضدّ ذلك ونظر إلى نفسه وقوّته فى الصناعه وحذقه ، حرمه الله البرء»[١].

وإنّما يحصل تمام التوكّل بعـد تطهير النفس من الرذائل ، فيتوجّه بها إلى الله تعالى ويعتمـد عليه فى الاُمور ويتلقّى المتوكّل على الله الفيض الإلهى من عنـده ، فإنّ العلم ليس بكثره التعلّم ، وإنّما هو نور من الله تعالى ينزله على من يريـد أن يهـديه ـ كما ورد فى الخبر عن

الإمام الصادق (عليه السلام) ـ فالطبيب المؤمن بالله سبحانه يتوكّل عليه ويفوّض أمره إليه ، ولا يعتمد على الأسباب ، فيوكل إليها ، وتكون وبالاً عليه ، ولا على أحد من خلق الله تعالى ، ولا على علمه وفنّه ، بل يلقى مقاليد أمره إلى الله تعالى فى أمره ورزقه وطبابته ومعالجاته ، يظهر عليه حينئذ من نفحات قدسه ولحظات اُنسه . ما يقوم به أوده ، ويحصل مطلبه ، ويصلح به أمره ، وفى الحديث القدسى إنّ الله تبارك وتعالى يقول : وعزّتى وجلالى ومجدى وارتفاعى على عرشى لأقطعنّ أمل كلّ مؤمّل غيرى باليأس ، ولأكسونّه ثوب المذلّه عند الناس ولاُنحينّه من قربى ولابعدنّه من وصلى ، أيؤمّل غيرى فى الشدائد ، والشدائد بيدى ، ويرجو غيرى ويقرع بالفكر باب غيرى ؟ وبيدى مفاتيح الأبواب وهى مغلّقه ، وبابى مفتوح لمن دعانى ...»[٢].

وإليكم نماذج من الآيات الكريمه والروايات الشريفه فى التوكّل على الله.

قال سبحانه وتعالى:

(فَقُلْ حَسْبِىَ اللهُ لا إلهَ إلاّ هُوَ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ)[٣].

(إنِّى تَوَكَّلْتُ عَلى اللهِ رَبِّى وَرَبِّكُمْ)[۴].

(ما تَوْفيقى إلاّ بِاللهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَإلَيْهِ اُنيبُ)[۵].

(إنِ الحُكْمُ إلاّ للهِ عَلَيْهِ تَوَكَّلْتُ وَعَلَيْهِ فَلْيَتَوَكَّلُ المُتَوَكِّلونَ)[۶].

(وَسِعَ رَبُّنا كُلَّ شَىْء عِلْماً عَلى اللهِ تَوَكَّلْنا)[٧].

(رَبَّنا عَلَيْكَ تَوَكَّلْنا وَإلَيْكَ أنَبْنا وَإلَيْكَ المَصيرُ)[٨].

(وَعَلَى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنونَ)[٩].

(وَاتَّقوا اللهَ وَعَلى اللهِ فَلْيَتَوَكَّلِ المُؤْمِنونَ)[١٠].

(وَمَنْ يَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ فَهُوَ حَسْبُهُ)[١١].

(وَما عِنْدَ اللهِ خَيْرٌ وَأبْقى لِلَّذينَ آمَنوا وَعَلى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلونَ)[١٢].

(فَإذا عَزَمْتَ فَتَوَكَّلْ عَلى اللهِ إنَّ اللهَ يُحِبُّ المُتَوَكِّلينَ)[١٣].

(إنْ كُنْتُمْ آمَنْتُمْ بِاللهِ فَعَلَيْهِ تَوَكَّلوا إنْ كُنْتُمْ مُسْلِمينَ)[١۴].

فالطبيب المسلم المؤمن بالله يتوكّل فى حياته وطبّه وعلاجه على الله سبحانه.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« من سرّه أن يكون أقوى الناس فليتوكّل على الله».

« لو أنّ رجلا توكّل

على الله بصدق النّيه لاحتاجت إليه الاُمور ممّن دونه ، فكيف يحتاج هو ومولاه الغنيّ الحميد».

« يا أ يّها الناس ، توكّلوا على الله وثقوا به ، فإنّه يكفى عمّن سواه».

« من توكّل على الله كفاه مؤنته ورزقه من حيث لا يحتسب».

« إعقل وتوكّل».

سأل النبيّ عن جبرئيل ما التوكّل على الله عزّ وجلّ ؟ فقال : العلم بأنّ المخلوق لا يضرّ ولا ينفع ، ولا يعطى ولا يمنع ، واستعمال اليأس من الخلق ، فإذا كان العبد كذلك لم يعمل لأحد سوى الله ولم يرجُ ولم يخف سوى الله ، ولم يطمع فى أحد سوى الله ، فهذا هو التوكّل.

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« التوكّل خير عماد».

« التوكّل بضاعه».

« التوكّل حصن الحكمه». التوكّل على الله نجاه من كلّ سوء وحرز من كلّ عدوّ».

« صلاه العباده التوكّل».

« فى التوكّل حقيقه الإيمان».

« حسبك من توكّلك أن لا ترى لرزقك مجرياً إلاّ الله سبحانه».

« التوكّل من قوّه اليقين».

« إنّ حسن التوكّل لمن صدق الإيمان».

« حسن توكّل العبد على الله على قدر ثقته به».

« ينبغى لمن رضى بقضاء الله سبحانه أن يتوكّل عليه».

« أصل قوّه القلب التوكّل على الله».

« من كان متوكّلا على الله لم يعدم الإعانه».

« من توكّل على الله ذلّت له الصعاب وتسهّلت عليه الأسباب».

« من توكّل على الله أضاءت له الشبهات».

« ليس للمتوكّل عناء».

« الثقه بالله أقوى أمل».

« من وثق بالله أراه السرور ، ومن توكّل عليه كفاه الاُمور».

« التوكّل كفايه».

قال الإمام الرضا (عليه السلام):

« الإيمان أربعه أركان : التوكّل على الله عزّ وجلّ ، والرضا بقضائه ، والتسليم لأمر الله ، والتفويض إلى الله».

سئل الصادق (عليه السلام) عن حدّ التوكّل ؟ فقال:

« أن

لا تخاف مع الله شيئاً».

يقول الإمام الباقر (عليه السلام):

« الغنى والعزّ يجولان في قلب المؤمن ، فإذا وصلا إلى مكان فيه توكّل ، أقطناه».

ويقول الإمام الجواد (عليه السلام):

« الثقه بالله تعالى ثمن لكلّ غال وسلّم إلى كلّ عال»[١٥].

فالطبيب المسلم الذى به يرى السرور ويكفيه الاُمور ، وتضاء له الشبهات ، ويقوى فيه الأمل ، وتسهل له الأسباب ، وتذلّ له الصعاب من كان متوكّلا على الله واثقاً به.

--- ١] أخلاق الطبيب : ٣٨.

[٢] منيه المريد ; للشهيد الثانى : ١٦٠ ، تحقيق رضا المختارى.

[٣] التوبه : ١٢٩.

[٤] هود : ٥٦.

[٥] هود : ٨٨ .

[٦] يوسف : ٦٧.

[٧] الأعراف : ٨٩ .

[٨] الممتحنه : ٤.

[٩] آل عمران : ١٢٢.

[١٠] المائده : ١١.

[١١] الطلاق : ٣.

[١٢] الشورى : ٣٦.

[١٣] آل عمران : ١٥٩.

[۱۴] یونس : ۸۴ .

[۱۵] میزان الحکمه ۱۰ : ۶۷۴.

(۱۰)

التواضع

فإنّ الکبریاء رداء الله سبحانه ، فمن نازعه فی ردائه أکبّه الله علی منخره فی النار ــ کما ورد فی الخبر النبویّ الشریف ــ فالتکبّر مختصّ بذات الله جلّ جلاله ، وأمّا الخلق لإمکانهم الذاتی وفقرهم فإنّ زینتهم التواضع ، ومن تواضع لله رفع الله سبحانه ، ومن التواضع أن تصغی إلی کلمه الحقّ وتقرّ بها ، حتّی لو کان الحقّ علیک ، فقل الحقّ ولو علی نفسک ، کما إنّ من التواضع أن تجلس دون مجلسک ، وتجالس البؤساء والمساکین والفقراء ، فإنّ الکبر من الشیطان ، وتکبّره من السجود لآدم (علیه السلام) أخرجه من الجنّه ، وکان رجیماً ملعوناً إلی یوم القیامه ، فالتواضع من جنود العقل وضدّه التکبّر من جنود الجهل ــ کما ورد فی الأثر ــ فالتواضع حسن

من كلّ واحد ، ومن الطبيب أحسن ، لا سيّما مع مرضائه ، فالتبختر عليهم ، لا يزيده إلاّ نفوراً وسقوطاً من القلوب.

وقال النبيّ محمد (صلى الله عليه وآله) : « لا يدخل الجنّه من كان فى قلبه مثقال حبّه من خردل من كِبْر ، كيف يستعظم نفسه ويتكبّر على غيره»[١].

وقال الله تعالى:

(تِلْكَ الدَّارُ الآخِرَهُ نَجْعَلُها لِلَّذينَ لا يُريدونَ عُلُوّاً فى الأرْضِ وَلا فَساداً)[٢].

وللتواضع مراحل أوّلها الإيمان بالله ، ثمّ الإيمان بالرسل والأنبياء ، كما فى قوله تعالى:

(رَبَّنا آمَنَّا بِما أنْزَلْتَ وَاتَّبَعْنا الرَّسولَ فَاكْتُبْنا مَعَ الشَّاهِدينَ)[٣].

أمّا المتكبّر فيقول:

(أنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلنا)[۴].

كما إنّ من التكبّر أن لا يطأطئ الإنسان رقبته أمام القوانين والأحكام الشرعيه فيكون كما قال الله تعالى:

(نُؤْمِنُ بِبَعْض وَنَكْفُرُ بِبَعْض وَيُريدونَ أنْ يَتَّخِذوا بَيْنَ ذلِكَ سَبيلا)[۵].

(أفَتُؤْمنونَ بِبَعْضِ الكِتابِ وَتَكْفُرونَ بِبَعْض فَما جَزاءُ مَنْ يَفْعَلْ ذلِكَ مِنْكُمْ إلاّ خِزْيٌ فى الحَياهِ الدُّنْيا وَيَوْمَ القَيامَهِ)[۶].

ومن التواضع الخضوع أمام القوانين الطبيعيه ، ثمّ التواضع مع الناس:

(وَلا تَمْشِ فى الأرْضِ مَرَحاً وَاقْصُدْ فى مَشْيِكَ)[٧].

ثمّ من ابتلى بحبّ الذات والتكبّر على الناس سرعان ما يسقط فى المجتمع ويفقد رصيد شعبى ، يمكنه أن يحلّق بهم فى تحقّق آماله وطموحه ، ومن ثمّ يسخط عليه الخلق.

يقول أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « إيّاك أن ترضى عن نفسك فيكثر الساخط عليك»[٨] ، « العجب يفسد العقل» ، « التواضع رأس العقل والتكبّر رأس الجهل».

فلا يحقّ للطبيب أن يتكبّر على الناس ، ويقول محمد بن زكريا الرازى فى ذلك : « واعلم يا بنى أنّ من المتطبّبين من يتكبّر على الناس لا سيّما إذا اختصّه ملك أو رئيس ، وقد قال الحكيم جالينوس : رأيت من المتطبّبين من إذا داخل الملوك فبسطوه

تكبّر على العامّه وحرمهم العلاج وغلظ لهم القول وبسر فى وجوههم ، فذلك المحروم المنقوص . فدعا الحكيم إلى أضداد هذه الخصال التى ذكرها وحثّ عليها ، وقال : ينبغى للطبيب أن يعالج الفقراء كما يعالج الأغنياء ، وهكذا يجب علينا أن نقتفى السنّه التى سنّها الحكيم»[٩].

« قال : ورأيت من المتطبّبين من إذا عالج مريضاً شديد المرض فبرأ على يديه دخله عند ذلك عجب ، وكان كلامه كلام الجبّارين ، فإذا كان كذلك ، فلا كان ولا وفّق ولا سُدّد ، وإنّما نهى الحكيم عن هذه الخصال لكى تجتنب».

« واعلم أنّ التواضع فى هذه الصناعه زينه وجمال دون ضعه النفس ، لكن يتواضع بحسن اللفظ وجيّد الكلام ولينه ، وترك الفظاظه والغلظه على الناس ، فمتى كان كذلك فهو المسدّد الموفّق ، وكذلك أمرنا بهذه الخصال المحموده التى أشرت بها عليك الفاضل جالينوس»[١٠].

فالكبر مذموم ، وهو تعظيم شأن النفس واحتقار الغير ، وعلامته الأنفه عمّن يتكبّر عليه ، والاختيال والفخر ومحبّه تعظيم الناس له.

وفى الخبر الشريف : « من كان فى قلبه مثقال حبّه من خردل من كبر ، كبّه الله تعالى فى النار على وجهه».

وفى حديث ابن مسعود عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) أ نّه قال : « لا يدخل الجنّه من كان فى قلبه مثقال ذرّه من كبر ، فقال الرجل : إنّ الرجل يحبّ أن يكون ثوبه حسناً ونعله حسناً ؟ قال : إنّ الله جميل يحبّ الجمال ، الكبر بطر الحقّ وغمط الناس» . أى أزرى بهم واستخفّ بهم . يقول الله تعالى : « العزّ إزارى والكبر ردائى ، فمن نازعنى فيهما عذّبته».

قال الله سبحانه:

(يا أ يُّها

الَّذينَ آمَنوا مَنْ يَرْتَدَّ مِنْكَمْ عَنْ دينِهِ فَسَوْفَ يَأتی اللهُ بِقَوْم يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أذِلَّه عَلی المُؤْمِنينَ أعِزَّه عَلی الكافِرينَ)[11].

وقال تعالی:

(وَأمَّا الَّذينَ اسْتَنْكَفوا وَاسْتَكْبَروا فَيُعَذِّبُهُمْ عَذاباً أليماً)[12].

(وَالَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَروا عَنْها اُولئِكَ أصْحابُ النّارِ)[13].

(إنَّ الَّذينَ كَذَّبوا بِآياتِنا وَاسْتَكْبَروا عَنْها لا تُفَتَّحُ لَهُمْ أبْوابُ السَّماءِ)[14].

(فَاسْتَكْبَروا وَكانوا قَوْماً مُجْرِمينَ)[15].

(فَالْيَوْمَ تُجْزَوْنَ عَذابَ الهَونِ بِما كُنْتُمْ تَسْتَكْبِرونَ فی الأرْضِ بِغَيْرِ الحَقِّ)[16].

(وَقالَ مُوسی إنِّی عُذْتُ بِرَبِّی وَرَبِّكُمْ مِنْ كُلِّ مُتَكَبِّر)[17].

(ألَيْسَ فی جَهَنَّمَ مَثْویً لِلْمُتَكَبِّرينَ)[18].

(فَلَبِئْسَ مَثْوی المُتَكَبِّرينَ)[19].

(إنَّهُ لا يُحِبُّ المُسْتَكْبِرينَ)[20].

قال رسول الله (صلی الله عليه وآله):

« لا حسب إلاّ بتواضع».

« لا حسب لقرشیّ ولا عربیّ إلاّ بتواضع».

« ما لی لا أری عليكم حلاوه العباده ؟ قالوا : وما حلاوه العباده ؟ قال : التواضع».

« أفضل الناس من تواضع عن رفعه».

« من ترک لباس الجمال وهو يقدر عليه تواضعاً كساه الله حلّه الكرامه».

« طوبی لمن تواضع لله تعالی فی غير منقصه ، وأذلّ نفسه من غير مسكنه».

« من أتی ذا ميسره فتخشّع له وطلب ما فی يديه ذهب ثلثا دينه».

« إنّ التواضع يزيد صاحبه رفعه فتواضعوا يرفعكم الله».

« من تواضع لله رفعه الله».

« ثلاثه لا يزيد الله بهنّ إلاّ خيراً : التواضع لا يزيد الله به إلاّ ارتفاعاً ، وذلّ النفس لا يزيد الله به إلاّ عزّاً ، والتعفّف لا يزيد الله به إلاّ غنىً».

« يا على ، والله لو أنّ المتواضع فى قعر بئر لبعث الله عزّ وجلّ إليه ريحاً يرفعه فوق الأخيار فى دوله الأشرار».

قال أمير المؤمنين (عليه السلام): التواضع زينه الحسب». التواضع أفضل الشرفين». التواضع ينشر الفضيله».

« عليك بالتواضع فإنّه من أعظم العباده».

فى وصف الأنبياء:

« ولكنّه سبحانه كرّه إليهم التكابر ، ورضى لهم التواضع ،

فألصقوا بالأرض خدودهم ، وعفّروا فى التراب وجوههم ، وخفضوا أجنحتهم للمؤمنين».

وفى صفه المتّقين ، قال (عليه السلام):

« ملبسهم الاقتصاد ، ومشيهم التواضع».

وفى صفه الحجّ ، قال (عليه السلام):

« وجعله سبحانه علامه لتواضعهم لعظمته وإذعانهم لعزّته».

« حسب المرء من تواضعه معرفته بقدره». التواضع مع الرفعه كالعفو مع القدره».

« من أتى غنيّاً فتواضع له لغناه ذهب ثلثا دينه».

« ما أحسن تواضع الأغنياء للفقراء طلباً لما عند الله ، وأحسن منه تيه الفقراء على الأغنياء إتّكالا على الله».

« ثلاث هنّ رأس التواضع : أن يبدأ بالسلام من لقيه ، ويرضى بالدون من شرف المجلس ، ويكره الرياء والسمعه».

« ثمره التواضع المحبّه ، ثمره الكبر السبّه». التواضع يكسبك السلامه». التواضع يكسوك المهابه».

« بخفض الجناح تنتظم الأُمور».

« بالتواضع تتمّ النعمه». التواضع ينشر الفضيله ، التكبّر يظهر الرذيله». التواضع يرفع ، التكبّر يضع». التواضع يرفع الوضيع ، التكبّر يضع الرفيع». التواضع سلّم الشرف ، التكبّر أُسّ التلف». التواضع ثمره العلم».

« لا يستعان على التواضع إلاّ بسلامه الصدر».

فالطبيب المسلم الناجح من تواضع لله ، ويرى ثمرات التواضع فى حياته العلميه والعمليه.

قال الإمام الرضا (عليه السلام): التواضع أن تعطى الناس ما تحبّ أن تُعطاه».

قال الإمام الصادق (عليه السلام): التواضع أن ترضى من المجلس بدون شرفك ، وأن تسلّم على من لقيت ، وأن تترك المراء وإن كنت محقّاً ، ورأس الخير التواضع».

قال الإمام الكاظم (عليه السلام):

« إنّ لقمان قال لابنه : تواضع للناس تكن أعقل الناس».

« قال الإمام الصادق (عليه السلام):

« إنّ فی السماء ملکین موکلین بالعباد ، فمن تواضع لله رفعاه ، ومن تکبّر وضعاه»[۲۱].

---

[۱] سفینه البحار ۲ : ۴۵۹.

[۲] القصص

: ٨٣ .

[٣] آل عمران : ٥٣.

[٤] المؤمنون : ٤٧.

[٥] النساء : ١٥٠.

[٦] البقره : ٨٥ .

[٧] لقمان : ١٨ _ ١٩.

[٨] غرر الحكم : ١٤٧. ٩] أخلاق الطبيب : ٣٥.

[١٠] المصدر : ٨٤ .

[١١] المائده : ٥٤.

[١٢] النساء : ١٧٣.

[١٣] الأعراف : ٣٦.

[١٤]الأعراف : ٤٠.

[١٥] الأعراف : ١٣٣.

[١٦] الأحقاف : ٢٠.

[١٧] غافر : ٢٧.

[١٨] الزمر : ٦٠.

[١٩] النحل : ٢٩.

[٢٠] النحل : ٢٣.

[٢١] من ميزان الحكمه ١٠ : ٥٠٠.

المساواه والعداله

على الطبيب أن يراعى هـذا الأصـل المهمّ فى عـالم الطبّ وحياته الطبّيه بأن يساوى بين مرضاه ــ لا أقلّ ــ فلا تغرّه الـدنيا وثروه الأثرياء فيعير لهم أهميّه أكثر من الفقراء ، بل الطبيب الموفّق والمؤيّـد من الله سبحانه من كان يفكّر بالفقراء والمعوزين أكثر من الأغنيـاء والأثريـاء ، فـإنّ الغنىّ له الأموال التى تقضـى حاجـاته وتسيّر اُموره عنـد أصحاب المطامع ومحبّى الأموال ، ولكن من للفقراء والمساكين والمعوزين والبؤساء ؟ ! !

أليس من أخلاق الأنبياء حبّ الفقراء ، أليس النبىّ الأكرم محمـد (صـلى الله عليه وآله) كان مسكيناً ويحبّ المساكين ويجلس معهم ولا يتكبّر عليهم ، كما أخبرنا بـذلك ودلّت سيرته المباركه عليه ، فإذا كان من أخلاق طبيب الروح ذلك ، فكـذلك من أخلاق طبيب الجسـد ، فعليه أن يقـدّم الفقير على الغنىّ فى علاجه ، وإلاّ ـ فليساوى بينهما ويراعى العـداله ؟ ! ، لا أن يغترّ بحبّ الـدنيا وأربابها وتعميه الثروه عن مشاهـده الحقّ ، وتنسيه وظيفته الإنسانيه والشـرعيّه ، وقسمه الذى أقسم به عند تخرّجه من كليه الطبّ ليزاول عمليّته ويخدم بها اُمّته وشعبه ووطنه ، والعالم كلّه.

يقول محمد بن زكريا الرازى : « فإنّ الطبيب الحرّ السيره

إذا اشتغل بصناعته وحفظ الخاصّه والعامّه فإنّه يعيش بخير ويكون عليهم أميراً ، وإذا توسّم بخدمته الملوك ، ربما صار بخدمتهم أميراً»[۱].

عن الإمام الرضا (عليه السلام) : « من لقى فقيراً مسلماً سلّم عليه خلاف سلامه على

الغنى لقى الله يوم القيامه وهو عليه غضبان»[۲].

ثمّ الأوامر الدينيه التى تقضى برجحان قضاء حاجه المرضاء والمجروحين وذوى الأسقام والاهتمام بأُمورهم ، وترتيب الثواب الجميل والأجر الجزيل على ذلك ، لم تخصّص غنياً ولا فقيراً ولا غيرهما بذلك ، فلا تمييز فى الإسلام ، وهذا ما لا يحتاج إلى برهان ، وأنّ الوجوب الكفائى أو العينى لم يلاحظ فيه الغنى دون الفقير ، ولا الأبيض دون الأسود ، بل ربما يقال إنّ الإسلام قد اهتمّ بالفقراء يفوق كثيراً اهتمامه بالأغنياء ، فقد ورد فى الحديث القدسى عن الله سبحانه : « الأغنياء وكلائى والفقراء عيالى».

فالروايات فى مدح الفقراء وحبّ الله لهم ، وأ نّه لا بدّ من الاهتمام بشؤونهم ومراعاه أحوالهم ومساعدتهم وإعانتهم لكثيره جدّاً.

ومن يحترم الغنىّ لغناه فإنّ ذلك من خساسه الطبع ورذالته ، ومن أثر عقده الحقاره ، لا أ نّه يحترم الإنسانيه كما يحكم بذلك العقل السليم.

يقول على بن العباس فى كتاب « كامل الصناعه الطبيه الملكى» : « إنّ على الطبيب أن يجدّ فى معالجه المرضى ، ولا سيّما الفقراء منهم ، ولا يفكّر فى الانتفاع المادّى ، وأخذ الأُجره من هذه الفئه ، بل إذا استطاع أن يقدّم لهم الدواء من كيسه هو فليفعل ، وإذا لم يفعل فليجدّ فى معالجتهم ليلا ونهاراً ، ويحضر إلى معالجتهم فى كلّ وقت».

ولكن ومع كلّ الأسف ، نرى قصور بعض الأطباء تجاه هذه المسؤوليه ، بل بعض

المستشفيات فى البلاد لا تدخل المريض حتّى يودع ذويه اُجره المعالجه أو العمليه الجراحيه فى حساب المستشفى ، ونسمع بين آونه واُخرى أنّ ذلك يؤدّى إلى موته وهلاكه ، لعدم تمكّنه من توفّر المال ، فمن المسؤول ؟ ؟ ! !

هـذا وحبّذا أن نـذكر بعض النصوص الـدالّه على أهميّه العـدل والمساواه فى حياه المسـلم ، ولا سيّما الطبيب ، فإنّه أولى بهـذه الخصله.

قال الله تعالى:

(يا أ يُّها الَّذينَ آمَنوا كونوا قَوّامينَ بِالقِسْطِ)[٣].

(إنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدْلِ وَالإحْسانِ)[۴].

(وَلا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْم عَلى أنْ لا تَعْدِلوا اعْدِلوا هُوَ أقْرَبُ لِلْتَّقْوى)[۵].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« مـن عامـل النـاس فلـم يظلمهـم ، وحـدّثهم فلـم يكـذبهم ، ووعـدهم فلم يخلفهم ، فهـو ممّن كملت مروّته ، وظهرت عـدالته ، ووجبت اُخوّته ، وحرمت غيبته».

« من صاحب الناس بالذى يُحبّ أن يصاحبوه كان عدلا».

« أعدل الناس من رضى للناس ما يرضى لنفسه ، وكره لهم ما يكره لنفسه».

قال أمير المؤمنين (عليه السلام):

« العدل أساس به قوام العالم».

« إنّ العدل ميزان الله الذى وضعه للخلق ونصبه لإقامه الحقّ فلا تخالفه فى ميزانه ، ولا تعارضه فى سلطانه».

« جعل العدل توأماً للأنام ، وتنزيهاً من المظالم والآثام ، وتسنيه للإسلام».

« العدل فضيله الإنسان».

« العدل زينه الإيمان».

« العدل رأس الإيمان وجماع الإحسان ، وأعلى مراتب الإيمان».

« العدل حياه».

« العـدل على أربع شـعب : على غـائص الفهم وغمره العلم وزهره الحكمه وروضه الحلم ، فمن فهم فسّـر جمـل العلم ، ومن علم شرع غرائب الحكم ، ومن كان حكيماً لم يفرّط فى أمر يليه من الناس».

« رحم الله عبداً استشعر الحزن وتجلبب الخوف ... فهو من معادن دينه وأوتاد أرضه ، قد ألزم نفسه

العدل ، فكان أوّل عدله نفى الهوى عن نفسه».

« اُوصيک بتقوى الله فى الغنى والفقر ... وبالعدل على الصديق والعدوّ».

« والعدل فى الرضا والغضب».

« أعدل الناس من أنصف عن قوّه».

« أعدل الخلق أقضاهم بالحقّ».

« استعن على العدل بحسن النيّه فى الرعيّه ، وقلّه الطمع ، وكثره الورع»[۶].

--- ۱] أخلاق الطبيب : ۱۸ ، تحقيق الدكتور عبد اللطيف محمد العبد.

[۲] أمالى الصدوق : ۳۹۶.

[۳] النساء : ۱۳۵.

[۴] النحل : ۹۰.

[۵] المائده : ۸ .

[۶] الروايات من ميزان الحكمه ۶ : ۷۸.

استمرار الخدمه

فإنّ الطبيب عليه أن لا يفكّر فى راحته واستراحته ، بل هو وقف على الناس وفى خدمتهم ليل نهار ، فإنّ المرض لا يخبر الإنسان بعروضه وهجومه ، فمن يدرى متى تكون الحمله الدماغيه والذبحه الصدريه والجلطه القلبيه ، وليس لمثل هذه الأمراض فى الظاهر وفى عالم الكون والفساد إلاّ الطبيب ، الذى جعل الله فى يده شفاء عباده المرضى.

ففى كلّ ساعه ، بل وفى كلّ لحظه ودقيقه ، على الطبيب أن يكون فى خدمه مريضه ، فربّ تحمّل وجع يؤدّى إلى حتفه وموته ، والطبيب إنّما يكون المسؤول عن هلاكه ، فإن تخلّص من القانون الجنائى وفى المحاكم الدنيويه ، فمن يخلّصه من محكمه الوجدان التى لا يحتاج فيها إلى قاض ، ومن يخلّصه من الله سبحانه الواقف على الضمائر والسرائر ، والعالم بالسرّ وما أخفى ؟ ! وما هو جوابه يوم القيامه ، يوم تبلى السرائر.

فلا بدّ من الثقه المتبادله بين المريض وطبيبه ، حتّى يسهل على المريض أن يلتزم بنصائح الطبيب ، ويعمل بنسخته الطبيه

وتوجيهاته العلاجيه.

بل على الطبيب أن يسعى فى كسب ثقه المريض من خلال استمرار الخدمه

والدقّه والحذاقه فی طبابته.

عن الإمام الصادق (علیه السلام) : « کلّ ذی صناعه مضطرّ إلی ثلاث خصال یجتلب بها المکسب ، وهو : أن یکون حاذقاً بعمله ، مؤدّیاً للأمانه فیه ، مستمیلا لمن استعمله»[١].

وهذه بعض الروایات الشریفه فی فضل الخدمه:

قال رسول الله (صلی الله علیه وآله):

« لا یزال العبد من الله وهو منه ما لم یُخدم ، فإذا خُدم وجب علیه الحساب».

« أ یّما مسلم خدم قوماً من المسلمین إلاّ أعطاه الله مثل عددهم خدّاماً فی الجنّه».

« روی أ نّه تعالی أوحی إلی داود : ما لی أراک منتبذاً ؟ قال : أعیتنی الخلیقه فیک . قال : فماذا ترید ؟ قال : محبّتک . قال : فإنّ محبّتی التجاوز عن عبادی ، فإذا رأیت لی مریداً فکن له خادماً».

قال الإمام الصادق (علیه السلام):

« المؤمنون خدم بعضهم لبعض ، قلت : وکیف یکونون خدماً بعضهم لبعض ؟ قال : یفید بعضهم بعضاً».

« إخدم أخاک ، فإن استخدمک فلا ، ولا کرامه»[٢].

---

[١] تحف العقول : ٢٣٨.

[٢] میزان الحکمه ٣ : ١٤.

زرع الأمل فی قلب المریض

إنّما یعیش الإنسان بآماله ، وأکثر الناس احتیاجاً إلی أمل الحیاه هم المرضی ، فعلی الطبیب المسلم أن یزرع الأمل فی قلب مریضه ، ولا ـ یخلق فیه روح الیأس من حیاته ، فإنّ الأعمار بید الله سبحانه ، وما أکثر الشواهد العینیه ، کما تطلعنا الصحف والمجلات المحلّیه والعالمیه بین آونه واُخری ، أنّ مریضاً کان علی شرف الموت ، وأیس أهله من برئه وشفائه واستعدّوا لتجهیزه وموته ، ولکن شاءت الإراده الإلهیه أن یبقی حیّاً ، ویبرأ من مرضه ، وینجو من الحتف المحتوم علیه ؟ !

فالطبیب الناجح یزرع الأمل فی

قلب مريضه ، وكثيراً ما تعالـج الأمراض ، لا سيّما الروحيه بمثل هذا الخلق الحسن ، فطمأنه المريض على صـحّته وسـلامته وبرئه من المرض سريعاً ، يؤثّر غايه التأثير فى زوال السقم والمرض.

ومـا كلّ ما يعلم يقال ، ولا يجب على الطبيب أن يقول لمريضه كلّ ما كان صادقاً فى مرضه ، بل يحرم الكـذب عليه ، ولا يجب الصـدق ، فإذا كان حال المريض خطراً فيمكن للطبيب أن يعلمه بذلك بلطائف الكلام للوقايه والعلاج ، ولا يخبره مباشـره حتّى يفقـد المريض أمـل الحياه ، ويكون إخبار الـدكتور موجباً لسـرعه حتفه ، وفقـدان الأمل ، وربما نتيجته الانتحار ، فيكون الطبيب شريكاً فى موته.

قال الله تعالى:

(إنَّهُ مِنْ قَتَلَ نَفْساً بِغَيْرِ نَفْس أوْ فَساد فى الأرْضِ فَكَأ نَّما قَتَلَ النَّاسَ جَميعاً)[١].

(وَمَنْ يَقْتُلْ مُؤْمِناً مُتَعَمِّداً فَجَزائُهُ جَهَنَّمُ خالِدينَ فيها)[٢].

فيجب على الطبيب حـدّ الإمكـان وحسب الطاقه البشـريه أن يسـعى فى نجاه مريضه ، ولو كانت حياته ساعات ودقائق ، وإن كان يستوجب ذلك إرهاق الطبيب.

فـالطبيب رفيق المريض كما ورد هـذا المعنى فى الروايات الشـريفه عن أمير المؤمنين على (عليه السـلام) : « كن كالطبيب الرفيق الذى يدع الدواء بحيث ينفع»[٣].

وفى نصٍّ : « إنّ الله عزّ وجلّ الطبيب ولكنّك رجل رفيق» ، وفى نصٍّ آخر : « أنت الرفيق والله الطبيب»[۴].

فمن أولى من المريض بالعنـايه والرفق والمـداراه ولا ـ سـيّما من قِبل طبيبه ، فلا بـدّ من رفع معنوياته والتغلّب على أمراضه وآلامه وأوجـاعه ، بزرع الأمـل والثقه فى قلبه ، حتّى يقـاوم المرض ولا ـ ينهزم أمـامه ، فـدور الطبيب فى المفهوم الإسـلامى هو التطبّب والتلطّف وبعث الأمل فى نفس المريض ، فإنّ الله هو الشافى وهو

الطبيب الواقعى ، وإنّ المعالـج يسـمّى بـالطبيب لأ نّه يطيب بـذلك نفس المريض ــ كما ورد فى الخبر الشـريف ــ حتّى أنّ من يزور المريض عليه أن يبعث فيه الأمل والحياه.

وخلاـصه القول : إنّ المريض حينمـا يشـتدّ به المرض لاـ يعلّق آمـاله فيمـا هو فيه على أحـد ، حتّى أقرب النـاس إليه حتّى ولـده وأبويه ، إلاّ الله ومن أمره أن يرجع إليه ، ألا وهو الطبيب الحاذق البصـير ، فهو الـذى يمكنه أن يقدّم له يد المعونه ، ويخفّف عنه آلامه وينقـذه ممّا هو فيه ، فالطبيب يتحمّل أكبر مسؤوليه فى هذا المجال سواء على الصـعيد المادّى بتقديم الأدويه ، أو المعنوى بالملاطفه الروحيه والنفسيه وزرع الأمل فى قلب مريضه ، ويبعث البهجه فى نفسه ، ويعيد إليه الثقه بالحياه وبالمستقبل.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« الأمل رحمه لاُمّتى ، ولولا الأمل ما رضعت والده ولدها ، ولا غرس غارس شجراً».

ولا تأمل إلاّ الله ، فقد قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« يقول الله تعالى : لأقطعنّ أمل كلّ مؤمن أمل دونى الاُناس».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« الأمل رفيق مؤنس».

« انقطع إلى الله سبحانه ، فإنّه يقول : وعزّتى وجلالى لأقطعنّ أمل كلّ من يؤمل غير باليأس».

« من أمّل إنساناً فقد هابه».

بينمـا عيسـى (عليه السـلام) جـالس وشـيخ يعمـل بمسـحاه يثير الأـرض ، قـال (عليه السـلام) : اللّهم انزع منه الأمل فوضع الشـيخ المسحاه واضطجع ، فلبث ساعه . فقال عيسى : اللّهم اردد إليه الأمل ، فقام فجعل يعمل»[۵].

وعلى الطبيب أن يزرع الأمل فى قلب مريضه.

---

[۱] المائده : ۳۲.

[۲] النساء : ۹۳.

[۳] البحار ۲ : ۵۳.

[۴] كنز العمّال ۸ : ۳۶۰.

ميزان الحكمه ١ : ١۴٠.

(١۴)

كتمان السرّ

على المسلم أن يحفظ ودائع الناس ، فإنّ من علامات المؤمن أداء الأمانه وحفظ الوديعه وأسرار الناس ، ولا يجوز إفشاء السرّ ، فإنّه من الخيانه المحرّمه عقلا وشرعاً ، فيجب كتمان السرّ ، وهو من الأخلاق الحميده لكلّ واحد من الناس ، ولكن أولى الناس بها الطبيب ، فمن حقّ المريض عليه أن يكتم سرّه ، لأ نّه كما هو المعروف والمشهور أنّ العلماء ــ علماء الدين ــ والأطباء محارم أسرار الناس ، فإنّ الناس يوحون بأسرارهم عند العلماء والأطباء ، فعليهم أن يكتموا الأسرار والخفيّات والبواطن ، فهم اُمناء الله فى الأرض وخلفائه ، وإنّ الله يستر على عباده ، فلا بدّ للطبيب أن يكون أميناً ستّاراً كاتماً للسرّ والأمراض الخفيّه التى توجب نقص المريض لو اُبيحت فى المجتمع . فكثير من المرضاء من يبوح بسرّه عند طبيبه ، ما لا يبوحه حتّى لوالديه ، ولأقرب الناس إليه.

يقول محمد بن زكريا الرازى : « واعلم يا بنى ، أ نّه ينبغى للطبيب أن يكون رفيقاً بالناس حافظاً لغيبهم كتوماً لأسرارهم ، لا سيّما أسرار مخدومه ــ أى مريضه ــ فإنّه ربما يكون ببعض الناس من المرض ما يكتمه من أخصّ الناس به مثل أبيه واُمّه وولده ، وإنّما يكتمونه خواصّهم ، ويفشونه إلى الطبيب»[١].

كما على المريض أن لا يكتم سرّه أمام طبيبه ، يقول الرازى : « ومن أعظم الخطأ أ نّه إذا فعل ذلك كتمه الطبيب ، مريداً بذلك دفع اللائمه عن نفسه ، ومن أخطأ خطأ وكتمه ، فقد جنى جنايتين وارتكب خطيئتين ، والطبيب لا يهتدى لعلاجه إذا

لم يفشِ إليه سرّه»[٢].

فهذه قاعده عظيمه

ينبغى أن يراعيها كلّ عليل ، كيلا يضلل الطبيب ، فيتأخّر شفاءه ، أو لا يهتدى الطبيب إلى هذا الشفاء.

وإذا اعتمـد المريض على طبيبه واطمأنّ فى كتمان سرّه ، فإنّه يقـدم على إباحه ما فيه من الاُمور التى قد يكون لها أكبر الأثر فى معرفه حقيقه الداء.

قال أمير المؤمنين (عليه السلام) : من كتم مكنون دائه عجز طبيبه عن شفائه[٣].

وقال (عليه السلام) : لا شفاء لمن كتم طبيبه داءه[۴].

فالتفاعل لا بدّ يكون بين الطبيب والمريض بصدق وصفاء ومحبّه ، فالطبيب يكتم سرّ مريضه كما جاء ذلك فى وصيّه أبقراط : « ينبغى أن يكون الطبيب مشاركـاً للعليل مشـفقاً عليه ، حافظاً للأسـرار ، لأنّ كثيراً من المرضـى يوقفونا على أمراض لهم لا يحبّون أن يقف عليها غيرهم»[۵].

وقال على بن العباس : « يجب على الطبيب أن يحفظ أسرار المريض ولا يفشيها ، لا لأقاربه ولا لغيرهم ممّن يتّصل به ، لأنّ كثيراً من المرضـى يكتمـون مـا بهم على أقرب النـاس إليهم حتّى والـديهم ، ويبوحون به للطـبيب كأوجـاع الرحم والبواسـير ... فعلى الطبيب أن يحافظ على سرّ المريض أكثر من المريض نفسه[۶].

--- ١] أخلاق الطبيب : ٢٧.

[٢] المصدر : ۶٨.

[٣] غرر الحكم ٢ : ۶۶٨.

[۴] المصدر : ٨٣٣ .

[۵] عيون الأنباء : ۴۶.

[۶] الآداب الطبيه فى الأسلام : ١٢٩.

عدم الارتشاء

فإنّ الطبيب الناجـح من كان يتحلّى بعزّه النفس وصـيانتها من الرذائل والأخلاق المنحطّه ، فلا يقبل الرشاوى وحتّى الهدايا ، فيما لو كان طبيباً عنـد الدوله وفى مستشـفى حكوميّه ، بل عليه أن يتعفّف عمّا يشـينه ، ويزرى بالمجتمع الطبّى ، وينقص من شأنهم ، ويحطّ فى منزلتهم.

قال رسول الله (صلى الله عليه

وآله):

« إيّاكم والرشوه ، فإنّها محض الكفر ، ولا يشمّ صاحب الرشوه ريح الجنّه».

« لعنه الله على الراشى والمرتشى».

« لعن الله الراشى والمرتشى والرائش الذى يمشى بينهما».

« الراشى والمرتشى فى النار».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) فى قوله تعالى : (أَكَّالونَ لِلْسُّحْتِ):

« هو الرجل يقضى لأخيه الحاجه ثمّ يقبل هدّيته»[١].

---

[١] ميزان الحكمه ۴ : ١٣۴.

(١۶)

عدم البخل

الجود والسخاء من أخلاق الله ، وإنّ الله يحبّ السخىّ ، وأولى الناس بالسخاء الطبيب ، فلا يبخل بماله ، كما لا يبخل بعلمه ، بل زكاه طبّه معالجه المرضاء ، وتعليم الجهلاء ، وإشاعه الفضائل والعلوم ، وتقديم ما عنده من التجارب والكشفيّات إلى العالم كلّه ، فإنّ الطبيب طبيب الكلّ ، ولا ينحصر بشعب خاصّ أو وطن خاصّ ، لأنّ العالم للجميع ، ولا يتحدّد بحدود جغرافيه ، ويتقلّم بأقاليم خاصّه.

فالطبيب الناجح من كان سخيّاً غير حسود ، ويحبّ الخير ونشره ، ويحبّ لأخيه ما يحبّ لنفسه.

وإنّ البخل يهدم صرح الإيمان ، كما إنّ الحسد سجن الروح ويفنى الجسد ويوجب الهمّ والغمّ ، وأقلّ الناس لذّه الحسود والبخيل ، ومن السخاء العفو عمّن ظلمك ، كما إنّ ذلك من مكارم الأخلاق ، قال الله تعالى:

(إدْفَعْ بِالَّتى هِىَ أحْسَنُ فَإذا الَّذى بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَداوَهٌ كَأَ نَّهُ وَلىٌّ حَميمٌ وَما يُلَقَّاها إلاّ الَّذين صَبَروا وَما يُلَقَّاها إلاّ ذو حَظٍّ عَظيم) [١] ، فالسخاء وعدم الحسد والعفو وعدم الغضب صفات يجب أن يتحلّى بها الطبيب الموفّق.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« السخاء خلق الله الأعظم».

« إنّ السخاء شجره من أشجار الجنّه ، لها أغصان متدلّيه فى الدنيا ، فمن كان سخيّاً تعلّق بغصن من أغصانها فساقه

ذلك الغصن إلى الجنّه».

« السخىّ قريب من الله ، قريب من الناس ، قريب من الجنّه».

إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) قال لعدىّ بن حاتم طىء:

« دفع عن أبيك العذاب الشديد لسخاء نفسه».

« طعام السخىّ دواء وطعام الشحيح داء».

أقول : ما أروع هذه الروايه عندما تتجلّى فى دواء الطبيب السخىّ ، فإنّه يكون دواؤه أسرع تأثيراً من غيره.

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« ساده الناس فى الدنيا الأسخياء ، وفى الآخره الأتقياء».

« تحلّ بالسخاء والورع ، فهما حليه الإيمان وأشرف خلالك».

« السخاء خلق الأنبياء».

« السخاء والشجاعه غرائز شريفه يضعها الله سبحانه فيمن أحبّه وامتحنه».

« السخاء فطنه».

« لا يستعان على اللبّ إلاّ بالسخاوه».

« السخاء ثمره العقل».

« غطّوا معايبكم بالسخاء ، فإنّه ستر العيوب».

« السخاء يزرع المحبّه».

« السخاء يثمر الصفاء».

« السخاء يمحّص الذنوب ويجلب محبّه القلوب».

« عليكم بالسخاء وحسن الخلق ، فإنّهما يزيدان الرزق ويوجبان المحبّه».

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

« السخاء من أخلاق الأنبياء ، وهو عماد الإيمان ، ولا يكون مؤمن إلّا سخيّ ، ولا يكون سخيّاً إلّا ذو يقين وهمّه عاليه ، لأنّ السخاء شعاع نور اليقين ، ومن عرف ما قصد ، هان عليه ما بذل».

« خياركم سمحاؤكم ، وشراركم بخلاؤكم».

« شابّ سخيّ مرهق فى الذنوب أحبّ إلى الله عزّ وجلّ من شيخ عابد بخيل».

قيل للصادق (عليه السلام) : ما حدّ السخاء ؟ قال:

« تخرج من مالك الحقّ الذى أوجبه الله عليك فتضعه فى موضعه».

« السخيّ الكريم الذى ينفق ماله فى حقّ».

« السخاء أن تسخو نفس العبد عن الحرام أن تطلبه ، فإذا ظفر بالحلال طابت نفسه أن ينفقه فى طاعه الله عزّ وجلّ».

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« إنّ الله يبغض

البخيل فى حياته ، السخىّ عند وفاته»[٢].

---

[١] فصّلت : ٣٤ ـ ٣٥.

[٢] ميزان الحكمه ۴ : ۴١٨.

رعايه مقدّمات العلاج

على الطبيب الحاذق أن يراعى مقدّمات العلاج وهى اُمور عشره ، عباره عن : ١ ـ مقدار الدواء . ٢ ـ كيفيّته . ٣ ـ لحاظ ذكوريه المريض واُنوثيّته . ۴ ـ سنّ المريض . ۵ ـ العادات السابقه والحاليه للمريض . ۶ ـ بروز المرض فى فصل من الفصول الأربعه . ٧ ـ حرفه المريض وشغله . ٨ ـ بلد المريض وكيفيه مناخه وتربته . ٩ ـ سمن المريض وضعفه . ١٠ ـ قوّه المريض[١] ونحوله.

ثمّ أصناف الأمراض التى تعترى الجسم أربعه : فى الخلقه ، ومقدار الأعضاء ، وعددها ، وموضعها.

وقد وردت جميعاً فى القرآن الكريم ، قال الله تعالى:

(لَيْسَ عَلى الأعْمى حَرَجٌ وَلا عَلى الأعْرَجِ حَرَجٌ وَلا عَلى المَريضِ حَرَجٌ)[٢].

وتسمّى بالأمراض العضويه ، والعمى لمن فقد العينين ، والعرج قد تكون قدماً واحده ، وقد تكون الاثنتين ، وإذا جاء لفظ المريض ، فهو ما يعنى علّه فى البدن كالشلل أو الحميات والدرن والصفراء ، أو علّه فى المعده والأمعاء ، وما إلى ذلك من أنواع العلل.

وهناك نوع آخر من الأمراض يسمّى بالأمراض النفسيه تنتج عن مؤثّرات خارجيّه فى الحياه العامّه ، مثل الخوف والشكّ والعاطفه وعدم الاكتفاء الجنسى وكثره الإجهاد أو الحزن على ما فات والحرص على المستقبل ، كلّ هذا يسبّب سقم النفس ، والأمراض النفسيه بجملتها مردّها إلى القلب.

وعلى الطبيب أن يبادر إلى معالجه المريض ولا يتهاون ويتساهل تكاسلا أو بغيه مال أو زياده اُجره أو ما شابه ذلك ، فهذا كلّه من الخيانه ، وإنّ المبادره إلى العلاج هو

مـا تفرضه الأخلاق الفاضـله والإنسانيه الرفيعه والفطره السـليمه ، وتنسـجم مع عواطف الإنسان النبيله كما أمرنا الإسـلام بـذلك . وعليه أن يراعى مقدّمات العلاج ومؤخّراته ولوازمه ، فإنّه من التزم بشىء التزم بلوازمه ، كما يدلّ عليه الأصل العقلائى.

---

[١] من كتاب « وظائف اسلامى و اخلاقى پزشكان مسلمان» بقلم ميرزا محمد أحمدآبادى : ٣٢.

[٢] الفتح : ١٧.

(١٨)

التمهّل فى تجويز الدواء

إنّ من أخلاـق الطبيب أن يراعى الشؤون الاقتصاديه فى حياه مريضه ، فلا يحمّله ما لا طاقه له أو يقع فى عسـر وحرج ، وإذا كان المريض يعالـج بالمأكولاـت والمشـروبات من دون الـدواء ، فلاـ يسـرع فى إعطاء الـدواء ، فإنّ (الـدواء ينقى وينكى) كما أ نّه يوجب الشـفاء ، وربمـا على أثر مفاعلاـت كيمياويه يولّـد عوارض جانبيّه اُخرى فى الجسـد ، فعلى الطبيب الحاذق أن يتمهّل فى تجويز الـدواء ، وإذا اقتضت الضـروره فإنّما يكتفى بمقـدارها ، من دون إفراط وتفريط ، وإذا كان المرض يزول بـدواء أقلّ قيمه فليكتفى به ، كما أ نّه لو كان يكتفى برفع المرض من خلال الـدواء ، فلا يقـدم على العمليه الجراحيه ، ومن يتجاوز هذه الحدود فـإنّه يكون ضامنـاً فيما لو تلف المريض أو نقص منه عضو أو غير ذلك ، كما إنّه يجوز للمريض ما يكفيه من الـدواء ، فلا يزيد حتّى يوجب الإسراف والتبذير.

كما لو كانت معالجه المريض تتمّ بدواء طاهر فلا يسـتعمل النجس والحرام ، فما جعل الله فى الحرام من شفاء ، إلاّ عند الضروره ، فكلّ ما حرّم الله أحلّه الاضـطرار ، والمحذورات تباح عند الضـروره ، إلاّ أنّ تشـخيص المصاديق وجزئيات الاضطرار ومواردها صعب ومشكل ، لا يقف عليها

بالتمام إلّا الأوحدىّ الحاذق.

كما لا يجهّز على موت المريض بتزريق أو حبّه أو غير ذلك ، عندما يحسّ بموته ، تصوّراً منه أ نّه يريحه من الأوجاع والأسقام ، فإنّ ذلك يعدّ قتلا عمداً ، ويوجب القصاص أو الديه ، كما هو مسطور فى كتب الفقهاء.

كما لا يستعمل الأدويه أو العمليّه الجراحيه لعقم النساء وعدم الإنجاب والحمل ، إلّا إذا كان هلاك المرأه فى ذلك ، لولا ذلك.

كما يحرم عليه إسقاط الجنين ، فإنّه يعدّ من قتل النفس . وعليه الديه حسب تكوّن الجنين من استقرار النطفه فى الرحم ، وحتّى ولوج الروح حيث له ديه كامله ، كما عليه الكفّاره الكامله كما هو مذكور فى الكتب الفقهيه والقانونيه.

كما يحرم عليه تشريح بدن المسلم حتّى فى مقام تعليم تلامذته ، بل يجب عليه الديه فيما لو قطع عضواً من الميّت أو أورد جرحاً ، كما قد تقرّر فى محلّه.

كما لا يجوز فى الشريعه الإسلاميه تلقيح نطفه أجنبى فى رحم أجنبى.

كما على الطبيب أن يكون متفقّهاً وعارفاً بمسائل الحرام والحلال وما يتعلّق بعلمه ككتاب الأطعمه والأشربه ، فعليه أن يكون ملمّاً بفقه الطبّ ، كما أ نّه ملتزماً بالأحكام الشرعيّه.

وإذا عجز عن معالجته ويئس من فنّه ، فلا ييأس من روح الله ، فإنّ أزمّه الاُمور طرّاً بيده ، فليدعو الله جلّ جلاله بالشفاء ، ويتوسّل بأنبيائه وأوصيائه وعباده الصالحين ، كما سنذكر تفصيل ذلك فى الخاتمه ، إن شاء الله تعالى.

عن الإمام الصادق (عليه السلام) : « أنّ نبيّاً من الأنبياء مرض ، فقال : لا أتداوى حتّى يكون الذى أمرضنى هو الذى يشفينى ، فأوحى الله تعالى إليه : لا أشفيك حتّى تداوى ،

فإنّ الشفاء منّى».

وعن الإمام الكاظم (عليه السلام) : « ادفعوا معالجه الأطباء ما اندفع المداواه عنكم ، فإنّه بمنزله البناء قليله يجرّ إلى كثيره»[١].

وفى الحديث النبوىّ الشريف : « تجنّب الدواء ما احتمل بدنك الداء ، فإذا لم يتحمّل الداء فالدواء»[٢].

وعن أبى الحسن (عليه السلام) : « ليس من دواء إلاّ ـ وهو يهيج داء ، وليس شىء فى البدن أنفع من إمساك اليد عمّا يحتاج إليه»[٣].

وعن النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « تجنّب الدواء ما احتمل بدنك الداء ، فإذا لم يحتمل الداء فالدواء».

« من ظفرت صحّته على سقمه فشرب الدواء فقد أعان على نفسه»[۴].

وعن أمير المؤمنين على (عليه السلام) : « لا يتداوى المسلم حتّى يغلب مرضه صحّته»[۵].

وقال : « امشِ بدائك ما مشى بك».

وقال النبىّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) : « إنّ الله أنزل الداء والدواء ، وجعل لكلّ داء دواء ، فتداوا وما تداووا بحرام»[۶].

عن الإمام الصادق (عليه السلام) : « المضطرّ لا يشرب الخمر ، فإنّها لا تزيد إلاّ شرّاً ، فلا تشرب منها قطره»[٧].

وعن أبى جعفر (عليه السلام) : « إنّ الله تعالى جعل فى الدواء بركه وشفاء وخيراً

كثيراً».

كتاب المسائل ، بإسناده عن على بن جعفر ، عن أخيه موسى ، قال : سألته عن الداء هل يصلح بالنبيذ ؟ قال : لا»[٨].

وعقد العلاّمه المجلسى فى البحار باب حول التداوى بالحرام ، يذكر فيه الآيات و ٢۶ حديثاً فراجع البحار ۵٩ : ٧٩.

قال الله تعالى:

(يا أ يُّها الَّذينَ آمَنوا إنَّما الخَمْرُ وَالمَيْسِرُ وَالأنْصابُ وَالأزْلامُ رِجْسٌ مِنْ عَمَلِ الشَّيْطانِ فَاجْتَنِبوهُ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحونَ * إنَّما يُريدُ الشَّيْطانُ أنْ يوقِعَ بَيْنَكُمُ العَداوَةَ وَالبِغْضاءَ فى الخَمْرِ وَالمَيْسِرِ وَيَصُدَّكُمْ عَنْ ذِكْرِ اللهِ وَعَنِ

الصَّلاهِ فَهَلْ أَنْتُمْ مُنْتَهونَ)[٩].

قال رسول الله : تداووا ، فإنّ الذى أنزل الداء أنزل الدواء . وقال : ما أنزل الله من داء إلّا أنزل له شفاء.

عن يونس بن يعقوب ، قال : سألت أبا عبد الله (عليه السلام) عن الرجل يشرب الدواء وربما قتله ، وربما يسلم منه ، وما يسلم أكثر . قال : فقال : أنزل الله الداء وأنزل الشفاء ، وما خلق الله داءً إلّا جعل له دواء ، فاشرب وسمّ الله تعالى[١٠].

الكافى ، بسنده عن يونس بن يعقوب ، قال : قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) : الرجل يشرب الدواء ويقطع العرق ، وربما انتفع به وربما قتله . قال : يقطع ويشرب[١١].

الدعائم ، عن جعفر بن محمد (عليهما السلام) ، أ نّه سئل عن الرجل يداويه اليهودى

والنصرانى . قال : لا بأس ، إنّما الشفاء بيد الله.

وعن أبى جعفر محمد بن على (عليهما السلام) ، أ نّه سئل عن المرأه تصيبها العلل فى جسدها ، أيصلح أن يعالجها الرجل ؟ قال (عليه السلام) : إذا اضطرّت إلى ذلك فلا بأس[١٢].

ثمّ من الروايات التى تدلّ على عدم شرب الدواء للتجربه ، ما جاء فى الحديث الشريف عن الإمام الصادق (عليه السلام) : ثلاثه لا ينبغى للمرء الحازم أن يقدم عليها : شرب السمّ للتجربه وإن نجا منه ...»[١٣].

كما لا يصحّ شرب الدواء من دون علّه ، فإنّه غير صالح ، كما ورد فى بعض النصوص « عن الإمام الصادق (عليه السلام) : ثلاثه تعقب مكروهاً ... وشرب الدواء من غير علّه وإن سلم منه ...»[١٤].

كما على المريض أن لا يسرف فى الدواء ، فعن الإمام الكاظم (عليه السلام) :

« ادفعوا معالجه الأطباء ما اندفع الداء عنكم ، فإنّه بمنزله البناء قليله يجرّ إلى كثيره»[١٥].

و « لا يتداوى المسلم حتّى يغلب مرضه على صحّته» ، « شرب الدواء للجسد كالصابون للثوب ينقّيه ، ولكن يخلّقه».

وممّـا يعين على سرعه العلاـج لو عرف المريض منافع دواءه من طبيبه ، بأن يبيّن له ذلك ولو على نحو الإجمال ، كما نجد فى رواياتنا عن الرسول الأكرم والأئمه الأطهار (عليهم السلام) ، عندما يذكرون الدواء يذكرون منافعه وآثاره ، فإنّ للاعتقاد دور هامّ فى تأثير الدواء ودفعه للمرض ، ومن هذا المنطلق نرى الإمام الصادق (عليه السلام)حينما يذكر دواء لوجع الجوف يعترض عليه البعض بأ نّهم فعلوا ذلك ولم ينفعهم ، فيقول غاضباً (عليه السلام) : « إنّما ينفع الله بهذا أهل الإيمان به والتصديق لرسوله ، ولا ينفع به أهل النفاق ، ومن أخذه على غير تصديق منه للرسول»[١٦].

ويطعم المريض عند اشتهائه طعاماً ، فقد ورد عن الإمام الرضا (عليه السلام) : « فإذا اشتهى الطعام فأطعموه ، فلربما فيه الشفاء».

وعن النبيّ الأكرم (صلى الله عليه وآله) : « لا تكرهوا مرضاكم على الطعام ، فإنّ الله يطعمهم ويسقيهم»[١٧].

ولا يكلّف المريض المشى ، فعن الإمام الصادق (عليه السلام) : « المشى للمريض نكس» . كما يستحبّ للمسافر أن يحمل معه الدواء ، فإنّ لقمان ينصح ولده عند إرادته السفر قائلا : تزوّد معك الأدويه فتنتفع بها أنت ومن معك».

ثمّ على الإنسان أن يهتمّ بصحّته أوّلا قبل أن يمرض ، فإنّ الوقايه خير من العلاج ، وقد ورد عن النبيّ الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) : « إنّ فى صحّه البدن فرح الملائكه ومرضاه الربّ وتثبيت السنّه»

، وقال : « لا خير فى الحياه إلاّ مع الصحّه».

وعن الإمام الصادق (عليه السلام) : « إنّ عامّه هذه الأرواح من المرّه الغالبه أو دم محترق أو بلغم غالب ، فليشتغل الرجل بمراعاه نفسه قبل أن تغلب عليه شىء من هذه الطبائع فيهلكه».

وما أروع ما جاء فى الحديث الشريف : « لا تأكل ما قد عرفت مضرّته ، ولا تؤثر هواك على راحه بدنك»[١٨].

وهناك المئات بل الاُلوف من الأحاديث الشريفه الدالّه على حفظ الصحّه والوقايه الصحيّه أوّلا ، حتّى الوقايه والمعالجه بالخضار والفواكه واللحوم والبقول والحبوب والأطعمه والألبان ، وذلك بذكر الخصائص والمزايا التى فيها ، والاستيعاب إلى بيان هذا الموضوع والبحث عنه من جميع جوانبه يحتاج إلى خبرات كبيره ، ومؤلفات عديده ، ومجلّدات كثيره ، ووقت طويل للكاتب والباحث والمطالع على حدّ سواء.

وكذلك ما يتعلّق بالنظافه الجسديه كالسواك والخلال والوضوء والغسل ونظافه الثياب ، وأ نّه يذهب الهمّ الذى يورث الهرم والأوجاع ، وكذلك نظافه الدور والأوانى والمحيط والبيئه والمجتمع ، وما يتعلّق بالعلاقه الجنسيه ، وغير ذلك من المباحث المهمّه والمتشعّبه التى يجمعها عنوان (حفظ الصحّه) للفرد والمجتمع.

وقد اهتمّ الإسلام بكلّ هذه المباحث غايه الاهتمام ، بل يفوق حدّ التصوّر ، حتّى قال الرسول الأكرم : « النظافه من الإيمان» ، وإنّ الإيمان مع صاحبه فى الجنّه ، وإنّما يدخل الجنّه من كان سعيداً ، كما فى قوله تعالى:

(وَأَمَّا الَّذينَ سعدوا فَفى الجَنَّهِ خالِدينَ فيها)[١٩].

وهذا يعنى أنّ النظافه من علائم سعاده الإنسان فى حياته وبعد مماته.

وإنّ الله:

(يُحِبُّ التَّوَّابينَ وَيُحِبُّ المُتَطَهِّرينَ)[٢٠].

كما إنّه يبغض من عباده القاذوره ... وأنّ الله نظيف ويحبّ النظافه ويحبّ النظيفين ، وعلى المسلم أن يراعى النظافه

فى كلّ شـىء ، فى ملبسه ومأكله ومشـربه وصلاته وصومه وفى كلّ جوانب حياته العلميه والعمليه ، الفرديه والاجتماعيه ، فيراعى التقوى والنظـافه الجسـديه والروحيه ، فإنّه سـبحانه وتعالى يحبّ المتّقين ويحبّ المتطهّرين ، ومن ثمّ لا يبتلى بالـداء حتّى يحتاج إلى الدواء.

فالنظافه بالمعنى الأعمّ والأخصّ أصل مهمّ فى حياه المسلمين.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« إنّ الله طيّب يحبّ الطيب ، نظيف يحبّ النظافه».

« بئس العبد القاذوره».

عن مسمع بن عبد الملك ، عن أبى عبد الله (عليه السلام) ، قال:

« أبصـر رسول الله (صـلى الله عليه وآله) رجلا شـعثاً شـعر رأسه ، وسخه ثيابه ، سيّئه حاله ، فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : من الدين المتعه وإظهار النعمه».

« لا تبيّتوا القمامه فى بيوتكم ، وأخرجوها نهاراً ، فإنّها مقعد الشيطان».

« تنظّفوا بكلّ ما استطعتم ، فإنّ الله تعالى بنى الإسلام على النظافه ، ولن يدخل الجنّه إلاّ كلّ نظيف».

« إنّ الإسلام نظيف فتنظّفوا ، فإنّه لا يدخل الجنّه إلاّ نظيف».

« من اتّخذ ثوباً فلينظّفه».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« تنظّفوا بالماء من النتن الريـح الـذى يتأذّى به ، تعهّدوا أنفسـكم ، فإنّ الله عزّ وجلّ يبغض من عباده القاذوره الذى يتأنّف به من جلس إليه».

« نظّفوا بيوتكم من حوك العنكبوت ، فإنّ تركه فى البيوت يورث الفقر».

« النظيف من الثياب يذهب الهمّ والحزن ، وهو طهور للصلاه».

قال الإمام الباقر (عليه السلام):

« كنس البيوت ينفى الفقر».

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

« غسل الإناء وكنس الفناء مجلبه للرزق».

قال الإمام الرضا (عليه السلام):

« من أخلاق الأنبياء التنظّف»[۲۱].

---

[۱] علل الشرائع ۲ : ۱۵۱.

[۲] مكارم الأخلاق : ۱۴۸.

[۳] روضه الكافى : ۲۷۳.

[۴] طبّ الأئمه : ۶۱.

[۵]

البحار ۵۹ : ۶۵.

[۶] طبّ الأئمه : ۶۲.

[۷] علل الشرائع ۲ : ۱۶۴.

[۸] البحار ۵۹ : ۸۳ .

[۹] المائده : ۹۰ _ ۹۱.

[۱۰] البحار ۵۹ : ۶۶.

[۱۱] البحار ۷۸ : ۲۳۵.

[۱۲] المصدر : ۶۷.

[۱۳] المصدر : ۷۴.

[۱۴] البحار ۷۸ : ۲۳۴ ، عن تحف العقول.

[۱۵] البحار ۸۱ : ۲۰۷.

[۱۶] البحار ۶۲ : ۷۳.

[۱۷] البحار ۶۲ : ۱۴۲.

[۱۸] الآداب الطبيه فی الإسلام : ۲۰۰.

[۱۹] هود : ۱۰۸.

[۲۰] البقره : ۲۲۲.

[۲۱] میزان الحکمه ۱۰ : ۹۲.

الأُجره

الطبّ من الواجبات الکفائیه ، وقیل : یشکل أخذ الأُجره علی الواجبات الکفائیه ، فالأولی للطبیب أن لا یأخذ الأُجره علی نفس

طبابته ، إنّما يأخـذها للمقـدّمات وحقّ القـدم ، ولا يجحف فى حقّ المرضاء حينئذ ، فإنّ علمه من الله ، وليكن اسـتعمال العلم فى خـدمه خلق الله ، فإنّ خير الناس من نفع الناس ، ومن الفقهاء من جوّز أخذ الاُجره على الطبابه ، لما جاء فى الأخبار ، فعن محمد بن مسلم ، عن أبى جعفر (عليه السلام) ، قال : « سألته عن الرجل يعالج الدواء للناس فيأخذ عليه جُعلا ، قال : لا بأس»[۱].

وقال العلاّمه (قـدس سـره) فى المنتهى : يجوز الاستيجار للختان وخفض الجوارى والمـداواه وقطع السـلع وأخـذ الاُجره عليه ، لا نعلم فيه خلافاً ، لأ نّه فعل مأذون فيه شرعاً ، يحتاج إليه ويضطرّ إلى فعله ، فجاز الاستيجار عليه كسائر الأفعال المباحه[۲].

فالإسـلام لا ينظر إلى الطبّ باعتباره حرفه يهـدف منها جمع المال والتجاره والحصول على حطام الـدنيا ، بل الطبّ رساله إنسانيه ومسؤوليه شرعيه بالدرجه الاُولى.

فلا يحقّ للطبيب أن يتساهل أو يتعلّل فى معالجه مريضه انتظاراً للاُجره أو لزيادتها ،

فإنّ التارک لشفاء المجروح من جرحه شريک جارحه ــ کما ورد فی خبر عيسی بن مريم ــ ولکن هذا لا يعنی أن لا يأخذ الاُجره ويکون عاله علی الآخرين ، بل لا يکون هدفه المال ، بحيث لولاه أو زيادته لما کان العلاج والتداوی.

فهدفيه المال والثروه فی الطبّ ، إنّما يجعل علمه وبالا علی الإنسانيه ، وبالنهايه يضرّ بالبشريه ، ويموت الإبداع والاکتشافات الطبيه حينئذ ، ونتيجه ذلک السطحيه والقشريه والهامشيه فی علم الطبّ.

کما لا ـ يجوز للطبيب التعلّل بعدم الاُجره أو بقلّتها فی مقام العلاج والتداوی ، فإنّ التارک شفاء المجروح من وجرحه شريک جارحه لا ـ محاله ، کما ورد فی الخبر الشريف ، فإنّ الجارح أراد فساده والتارک أراد عدم إصلاحه ، فهما شريکان فی دم المجروح.

فالمبادره إلی العلاج أوّلا هو ما تفرضه الأخلاق الطبيه والإنسانيه الرفيعه والفطره السليمه فی حياه الطبيب ، وتنسجم مع عواطفه الإنسانيه وأخلاقه النبيله وسجاياه الکريمه.

ثمّ مطالبه الاُجره المعقوله لا إشکال فيها ، فقد وردت النصوص الشرعيّه علی جواز ذلک.

قال الله تعالی:

(نُحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعيشَتَهُمْ فی الحَياهِ الدُّنْيا وَرَفَعْنا بَعْضَهُمْ فَوْقَ بَعْض دَرَجات لِيَتَّخِذَ بَعْضَهُمْ بَعْضاً سُخْرِيّاً وَرَحْمَهُ رَبِّکَ خَيْرٌ مِمَّا يَجْمَعونَ)[٣].

(قالَتْ إحْداهُما يا أبَتِ اسْتَأجِرْهُ إنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأجَرْتَ القَوِیَّ الأمينَ)[۴].

قال رسول الله (صلی الله عليه وآله):

« من ظلم أجيراً أجره أحبط الله عمله وحرّم عليه الجنّه ، وريحها لتوجد من مسيره خمسمئه عام».

« إنّ الله غافر کلّ ذنب إلاّ من أحدث ديناً ، أو اغتصب أجيراً أجره ، أو رجل باع حرّاً».

إنّ الله غافر کلّ ذنب إلاّ رجلٌ اغتصب أجيراً أجره ، أو مهر امرأه».

« ظلم الأجير أجره من الکبائر».

« ألا من ظلم أجيراً اُجرته فلعنه الله

عليه».

« إذا استأجر أحدكم أجيراً فليُعلمه أجره».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) فى قوله تعالى:

(نَحْنُ قَسَمْنا بَيْنَهُمْ مَعيشَتَهُمْ):

« فأخبرنا أنّ الإجاره أحد معايش الخلق ، إذ خالف بحكمته بين هممهم وإرادتهم وسائر حالاتهم ، وجعل ذلك قواماً لمعايش الخلق ، وهو الرجل يستأجر الرجل ... ولو كان الرجل منّا يضطرّ إلى أن يكون بنّاءً لنفسه ، أو نجّاراً أو صانعاً فى شىء من جميع أنواع الصنائع لنفسه ، ما استقامت أحوال العالم بتلك ، ولا اتّسعوا له ، ولعجزوا عنه ، ولكنّه أتقن تدبيره لمخالفته بين هممهم ، وكلّما يطلب ممّا تنصرف إليه همّته ممّا يقوم به بعضهم لبعض ، وليستغنى بعضهم ببعض فى أبواب المعائش التى بها صلاح أحوالهم».

قال الإمام الرضا (عليه السلام):

« اعلم أ نّه ما من أحد يعمل لك شيئاً بغير مقاطعه ثمّ زدته لذك الشىء ثلاثه أضعاف على اُجرته ، إلاّ ظنّ أ نّك قد نقصته اُجرته ، وإذا قاطعته ، ثمّ أعطيته اُجرته حمدك على الوفاء ، فإن زدته حقّه عرف ذلك ورأى أ نّك قد زدته»[۵].

---

[۱] البحار ۵۹ : ۷۲.

[۲] البحار ۵۹ : ۶۵.

[۳] الزخرف : ۳۲.

[۴] القصص : ۲۶.

[۵] ميزان الحكمه ۱ : ۱۸.

احترام المريض وتقديره

لاـ يحقّ للطبيب أن يستهين بمريضه ، فلاـ يحترمه فى عقائده ومذهبه وسلوكه وعاداته وتقاليده ، ممّا يوجب اضطرابه وجرح مشاعره ، فإنّ كلّ واحد له شخصيّته الفرديه والاجتماعيه ، وعقائده محترمه عنده ، ويحاول أن يدافع عنها مهما كلّفه الأمر ، فلا يستغلّ الطبيب مرضه ، ليحمّله عقائده وأفكاره ، أو يجذبه إلى حزبه ، فيما لو كان الطبيب متحزّباً ، وإنّى لأنصح الأطباء وكذلك

رجال الدين أن لا يتحزّبوا

، فإنّ دخولهم فى حزب يلزمهم أن يفقدوا شرائح اجتماعيه كثيره ، وأحزاب اُخرى ، وخلق كثير ، والحال أنّ الطبيب الجسدى والطبيب الروحى ـ أى : الدكتور والعالم الدينى ـ إنّما هو لكلّ الناس وفوق الميول والاتجاهات الخاصّه.

فالطبيب الحاذق عليه أن يراعى كمال الأخلاقيات العامّه والخاصّه مع الكلّ ، لا سيّما مع مريضه.

يقول محمد بن زكريا الرازى : « ولا شىء أجدى على العليل من أن يكون الطبيب مائلا إليه بقلبه محبّاً له»[١].

فالواجب على الطبيب المسلم أن يحترم مريضه ويكرمه ويحسن عليه ، فإنّه أخوه فى الدين أو الإنسانيه.

قال الله تعالى:

(أحْسِنْ كَما أحْسَنَ اللهُ إلَيْكَ)[٢].

(أحْسِنوا إنَّ اللهَ يُحِبُّ الُمحْسِنينَ)[٣].

(إنَّ اللهَ يَأمُرُ بِالعَدْلِ وَالإحْسانِ)[۴].

(إنَّ اللهَ مَعَ الَّذينَ اتَّقَوْا وَالَّذينَ هُمْ مُحْسِنونَ)[۵].

(إنْ أحْسَنْتُمْ أحْسَنْتُمْ لأنْفُسِكُمْ وَإنْ أسَأتُمْ فَلَها)[۶].

(لِلَّذينَ أحْسَنوا فى هذِهِ الدُّنْيا حَسَنَهً وَلَدارُ الآخِرَهِ خَيْرٌ)[٧].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« من أكرم أخاه المسلم بكلمه يلطفه بها ، ومجلس يكرمه به ، لم يزل فى ظلّ الله عزّ وجلّ ممدوداً عليه بالرحمه ، ما كان فى ذلك».

« ما فى اُمّتى عبد ألطف أخاه فى الله بشىء من لطف إلاّ أخدمه الله من خدم الجنّه».

« إلقَ أخاك بوجه منبسط».

« جبلت القلوب على حبّ من أحسن إليها ، وبُغض من أساء إليها».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« الإحسان غريزه الأخيار ، والإساءه غريزه الأشرار».

« الإحسان المحبّه».

« الأحسان غُنم».

« الإحسان ذُخر ، والكريم من حازه».

« عليك بالإحسان فإنّه أفضل زراعه ، وأربح بضاعه».

« أفضل الإيمان الإحسان».

« بالإحسان تُغمد الذنوب».

« رأس الإيمان الإحسان إلى الناس».

« نِعم زاد المعاد الإحسان إلى العباد».

« لو رأيتم الإحسان شخصاً لرأيتموه شكلا جميلا يفوق العالمين».

« من كثر إحسانه أحبّه إخوانه».

« الإحسان يسترقّ الإنسان».

«

بالإحسان تملك القلوب».

« المحسن معان».

« المحسن حيّ وإن نُقل إلى منازل الأموات».

« المحسن من عمّ الناس بالإحسان».

« إنّ المؤمنين المحسنون».

« إنّك إن أحسنت فنفسك تكرم وإليها تحسن ، إنّك إن أسأت فنفسك تمتهن وإيّاها تغبن».

« تمام الإحسان ترك المنّ به»[٨].

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

« من أتاه أخوه المؤمن فأكرمه فإنّما أكرم الله عزّ وجلّ».

« من قال لأخيه مرحباً كتب الله له مرحباً إلى يوم القيامه».

« إنّ من عظّم دينه عظّم إخوانه ، ومن استخفّ بدينه استخفّ بإخوانه»[٩].

--- ١] أخلاق الطبيب : ٣٥.

[٢] القصص : ٧٧.

[٣] البقره : ١٩٥.

[٤] النحل : ٩٠.

[٥] النحل : ١٢٨.

[٦] الإسراء : ٧.

[٧] النحل : ٣٠.

[٨] ميزان الحكمه ٢ : ٤٤٢.

[٩] ميزان الحكمه ١ : ٢٠.

الفصل الثالث: من أهمّ الوصايا لتلامذه علم الطبّ

لقـد ذكر القـدماء بعض المواصـفات لطالب العلم الطبى ، فقد نسـبوا إلى أبقراط الوصـيّه المعروفه بترتيب الطبّ ، ويقول فيها : « ينبغى أن يكون المتعلّم للطبّ فى جنسه حرّاً وفى طبعه جيّداً ، حـديث السنّ ، معتـدل القـامه ، متنـاسب الأعضـاء ، جيّد الفهم ، حسن الحديث ، صحيح الرأى عند المشوره ، عفيفاً ، شجاعاً ، غير محبّ للفضّه ، مالكاً لنفسه عند الغضب ، ولا يكون بليداً.

وينبغى أن يكون مشاركـاً للعليـل ، مشـفقاً عليه ، حافظـاً للأسـرار ، لأنّ كثيراً من المرضـى يوقفونا على أمراض بهم لا يحبّون أن يقف عليها غيرهم.

وينبغى أن يكون محتملا للشتيمه ، لأنّ قوماً من المبرسـمين ــ البرسام علّه يهذى فيها المريض ــ وأصحاب الوسواس السوداوى يقابلونا بذلك ، وينبغى لنا أن نحتملهم عليه ، ونعلم أ نّه ليس منهم ، وأنّ السبب فيه المرض الخارج عن الطبيعه.

وينبغى أن يكون حلق رأسه معتدلا مستوياً ، لا

يحلقه ولا يدعه كالجمّه ، ولا يستقصى قصّ أظافير يديه ، ولا يتركها تعلو على أطراف أصابعه.

وينبغى أن تكون ثيابه بيضاء نقيّه ، ولا يكون فى مشيه مستعجلا ، لأنّ ذلك دليل على الطيش ، ولا متباطئاً ، لأ نّه يدلّ على فتور النفس.

وإذا دعى إلى المريض فليقعد متربّعاً ، وليختبر منه حاله بسكون وتأنّ ، لا بقلق واضطراب.

وجاء فى كتاب « كامل الصناعه الطبيه الملكى» لعلى بن العباس ، إضافه إلى ما مرّ : « وإنّ على طالب العلم الطبّى ، أن يطيع أوامر الله تعالى ، ويحترم أساتذته ويكون فى خدمتهم ، ويعتبرهم بمنزله والديه ، ويحسن إليهم ، ويشركهم فى أمواله.

كما إنّ عليه أن يعتبر ابن معلّمه أخاً له ، ويعلّمه هذه الصناعه بلا ـ اُجره ولا ـ شرط ، ويشرك أولاده ، وأولاد معلّمه فى العلوم والوصايا ، وكذلك سائر التلاميذ الذين يستحقّون تعلّم هذه الصناعه دون غيرهم ، ممّن لا يستحقّ ذلك.

وبعد أن ذكر اُموراً اُخرى ، من جملتها لزوم حفظ المطالب ، وعدم الاعتماد على الكتاب ، ذكر : أنّ عليه أن يتعلّم مطالب هذا العلم فى أيام صباه ، لأنّ ذلك أسهل عليه من أيام الشيخوخه ... وعلى طالب هذا العلم أن يبقى فى المستشفيات فى خدمه أساتذته العلماء ، والحذّاق فى هذه الصناعه ، فيمارس العمل فى هذا المجال ، ويشرف على المرضى وعلى أحوالهم ، ويستفيد من صحبه الأساتذه وخدمه المرضى ما يرتبط بأحوال وعوارض الأمراض ، حسناً وسوءاً ، ويطبّق ما قرأه عملياً ...[١].

وقال عليّ بن العباس الأهوازى : « على الطبيب أن يكون نظيفاً ، يخاف الله ، عذب اللسان ، حسن السلوك ، وأن يبعد

عن كلّ سوء وكلّ مشين ، وأن لا ينظر إلى النساء ...».

---

[۱] الآداب الطبيه فى الإسلام : ۱۰۳.

الخاتمه: أثر الدعاء فى حياه المريض

قال الله سبحانه وتعالى:

(قُلْ ما يَعْبَؤ بِكُمْ رَبِّى لَوْلا دُعاؤكُمْ)[۱].

(وَقالَ رَبُّكُمْ اُدْعونى أسْتَجِبْ لَكُمْ إنَّ الَّذينَ يَسْتَكْبِرونَ عَنْ عِبادَتى سَيَدْخُلونَ جَهَنَّم داخِرينَ)[۲].

(وَإذا سَألَكَ عِبادى عَنِّى فَإنِّى قَريبٌ اُجيبُ دَعْوَهَ الدَّاعِ إذا دَعانِ)[۳].

(وَإذا مَسَّ الإنْسانَ الضُّرُّ دَعانا لِجَنْبِهِ أوْ قاعِداً أوْ قائِماً)[۴].

(دَعَوا اللّه مُخْلِصينَ لَهُ الدِّينَ لَئِنْ أنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكونَنَّ مِنَ الشَّاكِرينَ)[۵].

(قُلْ مَنْ يُنْجيكُمْ مِنْ ظُلُماتِ البَرِّ وَالبَحْرِ تَدْعونَهُ تَضَرُّعاً وخُفْيَهً)[۶].

(تَتَجافى جُنوبُهُمْ عَنِ المَضاجِعِ يَدْعونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً)[۷].

(أمَّنْ يُجيبُ دَعْوَهَ المُضْطِرِّ إذا دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ)[۸].

(إنَّهُمْ كانوا يُسارِعونَ فى الخَيْراتِ وَيَدْعونا رَغَباً وَرَهَباً)[۹].

(وَللهِ الأسْماءُ الحُسْنى فَادْعوهُ بِها)[۱۰].

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« أفضل العباده الدعاء ، فإذا أذن الله للعبد فى الدعاء فتح له باب الرحمه ، إنّه لن يهلك مع الدعاء أحد».

« إنّ الله تبارك وتعالى كان إذا بعث نبيّاً قال له : إذا أحزنك أمر تكرهه فادعنى أستجب لك ، وإنّ الله أعطى اُمّتى ذلك حيث يقول : (ادْعونى أسْتَجِبْ لَكُمْ).

« من فتح له من الدعاء منكم فتحت له أبواب الإجابه».

قال أمير المؤمنين فى وصيّه لابنه الإمام الحسن (عليهما السلام):

« إعلم أنّ الذين بيده خزائن ملكوت الدنيا والآخره قد أذن لدعائك ، وتكفّل لإجابتك ، وأمرك أن تسأله فيعطيك ، وهو رحيم كريم ، لم يجعل بينك وبينه من يحجبك عنه ، ولم يلجئك إلى من يشفع لك إليه ... ثمّ جعل فى يدك مفاتيح خزائنه بما أذن فيه من مسألته ، فمتى شئت استفتحت بالدعاء أبواب خزائنه».

« من قرع باب الله سبحانه فتح له».

قال الإمام الصادق (عليه السلام):

« أكثر من الدعاء ، فإنّه

مفتاح كلّ رحمه ، ونجاح كلّ حاجه ، ولا ينال ما عند الله إلّا بالدعاء ، وليس باب يكثر قرعه إلّا يوشك أن يفتح لصاحبه.

فأئمّتنا الأطهار (عليهم السلام) يأمروننا بالدعاء الكثير ، ومثل هذا الحصر « ولا ينال ما عند الله إلّا بالدعاء» على ماذا يدلّ ؟ والضروره والوجدان يقضى أنّ الباب الذى يكثر عليه القرع يوشك أن يفتح لقارعه ، ومن طرق الباب ولجّ ، ولج ، فعلينا بالدعاء على كلّ حال.

يقول الإمام الصادق (عليه السلام):

« لا تقل إنّ الأمر قد فرغ منه ، إنّ عند الله منزله لا تنال إلّا بمسأله».

وهذا تحريض عجيب لمن أراد بلوغ المنى ، وقال زراره فى معنى الروايه : إنّما يعنى أن لا يمنعك إيمانك بالقضاء والقدر أن تبالغ بالدعاء وتجتهد فيه.

وعن زراره ، قال : قال لى أبو جعفر (عليه السلام) : ألا أدلّك على شىء لم يستثن فيه رسول الله (صلى الله عليه وآله) ؟ قلت : بلى . قال : الدعاء يردّ القضاء وقد اُبرم إبراماً (وضمّ أصابعه).

ما أروع هذا الأمل والثقه بالله سبحانه وتعالى ، فإنّه ممّا يزيد فى معنويات وروحيات الإنسان ، لا سيّما أصحاب الحوائج والمشاكل والقضايا المستصعبه والأسقام المزمنه والأمراض صعبه العلاج.

فإنّ المريض مهما كانت خطوره مرضه ، فإنّ هناك بصيص من النور والرحمه فى قلبه ، وإنّه يلتجئ إلى ربّه ، ويرى العلاج الطبى إنّما هو وسيله ظاهريه ، والشفاء الحقيقى بيد الله سبحانه ، فهو المشافى المعافى الطبيب المداوى ، ولا سبيل إلى فيضه الجسيم ولطفه العميم ، ورحمته الوسيعه ، وشفقته الرفيعه ، إلّا الدعاء من صميم القلب خالصاً مجتهداً بقلب نقىّ ولسان صادق ، فإنّه

يردّ القضاء المبرم والموت المعلّق.

وقال الإمام الصادق (عليه السلام):

« عليك بالدعاء فإنّ فيه شفاء من كلّ داء».

وعن محمد بن مسلم ، قال : قلت لأبى جعفر (عليه السلام) : قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : فى هذه الحبّه السوداء شفاء من كلّ داء إلاّـ السام ؟ (أى الموت) ، فقال : نعم ، ثمّ قال : ألاـ أُخبرك بما فيه شفاء من كلّ داء وسامّ ؟ قلت : بلى ، قال : الدعاء.

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« ادفعوا أمواج البلاء بالدعاء ، ما المبتلى الذى استدرّ به البلاء بأحوج إلى الدعاء من المعافى الذى لا يأمن البلاء».

وهذا يعنى أ نّه لا بدّ من الدعاء على كلّ حال فى الشدّه والرخاء والعافيه والبلاء والصحّه والمرض والراحه والتعب ، وفى الليل والنهار ، وفى جميع الأحوال (تعرّف إلى الله فى الرخاء يعرفك فى الشدّه).

وقال الإمام الصادق (عليه السلام):

« من تخوّف من بلاء يصيبه فتقدّم فى الدعاء لم يره الله عزّ وجلّ ذلك البلاء أبداً».

ويقول أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« إنّ لله سبحانه سطوات ونقمات ، فإذا أُنزلت بكم فادفعوها بالدعاء ، فإنّه لا يدفع البلاء إلاّ الدعاء».

فمقام الدعاء فى الإسلام مقام عظيم ، والنصوص القرآنيه والأحاديث الشريفه أولت المزيد من الاهتمام فى الدعاء والابتهال إلى الله سبحانه وتعالى ، لأنّ الدعاء يعدّ فى نظر الإسلام من أنجع الوسائل وأعمقها فى تربيه النفوس وتهذيب الأخلاق ودفع البلاء وحلّ المشاكل واتّصال الإنسان بربّه الكريم.

الدعاء مدرسه تربويه ، وعلاقه وثيقه بين العبد ومولاه ، من العبادات وإنّه سلاح المؤمن ، يردّ القضاء المبرم ، ويغيّر فى المقدّرات الإلهيه فى عالم المحو والإثبات بأمر

من الله سبحانه:

(يَمْحو اللهُ ما يَشاءُ وَيُثْبِتُ وَعِنْدَهُ اُمُّ الكِتابِ)[١١].

وترك الدعاء يعدّ من المعاصى والآثام ، كما إنّه من الطعات والقربات ، ولا يهلك مع الدعاء أحد ، وإنّه مصابيح النجاح ومقاليد الفلاح ومفاتيح الرحمه ، وإنّ الله سبحانه ليحبّ عبده الداعى ، وأحبّ الأعمال إليه فى الأرض الدعاء ، فما شىء أحبّ إلى الله من أن يسأل العبد ربّه ، وكان أمير المؤمنين على (عليه السلام) رجل دعّاء ، وإنّ من أفضل العباده الدعاء.

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) لأصحابه يوماً : ألا أدلّكم على سلاح ينجيكم من أعدائكم ويدرّ أرزاقكم ؟ قالوا : بلى يا رسول الله . قال : تدعون ربّكم بالليل والنهار ، فإنّ سلاح المؤمن الدعاء ، ومخّ العباده الدعاء ، وهو عمود الدين ونور السماوات والأرضين ، وهو ترس المؤمن.

وقد ورد فى الروايات الكثيره أنّ الدعاء سلاح الأنبياء ، وأ نّه أنفذ من سلاح الحديد ، وهو شفاء من كلّ داء ، فادفعوا أمواج البلاء عنكم بالدعاء قبل ورود البلاء ، فإنّ الدعاء بعد ما ينزل البلاء لا ينتفع به ، وأدفعوا نوائب البلايا بالاستغفار ، وتعرّفوا إلى الله فى الرخاء يعرفكم فى الشدّه ، واسألوا الله ما بدا لكم من حوائجكم حتّى شسع النعل ، فإنّه إن لم ييسّره يتعسّر ، ولا تتركوا صغيره لصغرها أن تدعو بها ،

فإنّ صاحب الصغار هو صاحب الكبار ، ومن قرع باب الله سبحانه فُتح له ، وإنّ الدعاء كهف الإجابه كما أنّ السحاب كهف المطر.

ثمّ الإنسان خُلق ضعيفاً ، ويحسّ دوماً أ نّه يفتقر ويحتاج إلى قوّه كبرى يرتبط بها باستمرار ، تسنده وتؤيّده وتعينه وتنصره وتسدّد خطاه فى مسيره

حياته ، ولا تكون تلك القوّه من نفس السنخيه التى خلق منها ، بل تكون قاهره قادره عالمه بكلّ شىء بلا نهايه ، وما تلك القوّه إلّا الله سبحانه وحده لا شريك له ، واجب الوجود لذاته ، الغنىّ عن عباده ، وما عداه مفتقر إليه فى حدوثه وبقائه.

والله سبحانه أجود الأجودين عند حسن ظنّ عبده المتوكّل عليه والمفوّض أمره إليه ، فإنّه جلّ جلاله لم يبخل على عبده فى مرحله من مراحل الحياه ، وكان جوده ووجوده على العباد برحمانيّته بنعمه التسديد والإسناد والتأييد ، وإذا انقطع العبد إليه وحده ، فإنّه يؤيّده برحميّته التى هى قريبه من المحسنين.

ويكون العبد بدعائه وتضرّعه وتهجّده وانقطاعه متسامياً متعالياً منتصراً على النفس الأمّاره بالسوء والأنانيه وحبّ الذات ، ويرتفع إلى مصاف عباد الله المقرّبين المخلصين ، ويكون دعاؤه سلاحاً ماضياً وترساً واقياً وكهفاً منيعاً وحصناً حصيناً.

فالدعاء والتضرّع حينئذ يكونان كفيلين فى إرجاع العبد إلى حظيره القدس وطريق الطاعه ومقام العبوديه والتسامى إلى قاب قوسين ، فى مقعد صدق عند مليك مقتدر.

فالدعاء سموّ فى الروح وإشراق فى النفس ، فإنّ من ثمراته إزاله ما ران على القلوب من المعاصى والحجب التى تمنع النفس عن التجلّى والرفعه ، وهدايتها إلى مصاف الصالحين.

الدعاء رابط وثيق بين العبد وربّه ، خالق الكون وواهب الحياه ، ومن بيده

مجريات الأحداث ، وهو بكلّ شىء محيط.

ومن الواضح أنّ علاقه الإنسان بخالقه وصانعه علاقه ذاتيه ومتأصّله فى وجوده ، فإنّه يفزع إلى الله سبحانه إذا دهمته الكوارث أو ألمّت به المصائب ، أو تورّط بالمحن ، فيدعو ربّه ضارعاً منكسراً لا يجد غيره أحداً يفزع إليه ، ولا يكشف الضرّ عنه سواه:

(أَمَّنْ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ إذا

دَعاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ).

وهو اللطيف الرحيم بعباده.

الدعاء هو القرآن الصاعد ، وقد اهتمّ الرسول الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) وأئمّه أهل البيت (عليهم السلام) بالأدعيه اهتماماً بالغاً ، لأ نّها شفاء القلوب وبلسماً للجراح ، وتهذيباً للنفوس ، ومفتاحاً للإجابه وقضاء الحوائج ، وقد خلّفوا (عليهم السلام) لنا ثروه هائله قدسيه من الأدعيه والتراث الروحى العملاق ، فى شتّى فنون الأدعيه والأوراد والأذكار.

وقد ذكر السيّد ابن طاووس نادره زمانه ، أنّ خزانه مكتبته فقط تحتوى على ثمانمائه كتاب ومجلّد من الأدعيه ، اُثرت عن الأئمه الطاهرين (عليهم السلام).

وهذا إنّما يدلّ على عظمه الدعاء وأثره البالغ فى حياه الإنسان ، فإنّه يوجب حسن العاقبه وعدم الزيغ ، والتجافى عن دار الغرور والإنابه إلى دار الخلود ، والكلام مع الله ، والطلب منه بأن يعامله بلطفه وكرمه وبما هو أهله ، وسعاده الدارين والنور والهدايه والمعرفه والوصول إلى الكمال المطلق ومطلق الكمال ، والفناء فى الله سبحانه وتعالى.

ولا يخفى على ذوى النهى أنّ للدعاء المستجاب شرائط ذكرها علماء الفنّ ، كما جاء فى « جامع السعادات» للمرحوم النراقى ، و « المحجّه البيضاء» للفيض الكاشانى ، و « عدّه الداعى» لابن فهد الحلّى ، وكتب السيّد ابن طاووس ،

و « مفاتيح الجنان» للشيخ القمّى ، و « مفاتيح الجنّات» للسيّد محسن العاملى ، وعشرات ومئات الكتب الاُخرى فى الأدعيه والأوراد.

ومن أهمّ الشرائط : المعرفه التامّه ، والعمل بما يقتضيها ، وحضور القلب ورقّته ورحمته ، وطيب المكسب وحلّيته ، وإطاعه الله ورسوله وعترته ، والإخلاص والتقوى واليقين بالإجابه . ويقول الإمام الصادق (عليه السلام) : « إذا اقشعرّ جلدك ودمعت عيناك ووجل قلبك ، فدونك دونك فقد

قصد قصدك» ، والطهاره الباطنيه والإقبال على الله سبحانه ، والاعتراف بالذنوب ، وحسن الظنّ بالله سبحانه.

كما إنّ للإجابه موانع : كالذنب والمعصيه والظلم ولقمه الحرام ومناقضته للحكمه والمصلحه العامّه أو الخاصّه ، ومن عليه مظالم الناس.

كما للدعاء آداب : كالبسمله وتمجيد الله وحمده ، والصلاه على النبىّ وآله ، والاستشفاع بالأولياء والصالحين ، والإقرار بالذنب ، والتضرّع والابتهال ، وأن لا يستصغرنّ شيئاً من الدعاء ، ولا يستكثر مطلوبه ، ويرى قضاء حاجته وأ نّها مقضيّه ، ويكون عالى الهمّه فيما يطلب ، وأن يعمّم الدعاء ، ويسرّ به ويحسن الظنّ بالإجابه ، ويختار الأوقات المناسبه ذات الفضيله ، والأماكن المقدّسه ، ويلحّ فى الطلب ، وأن يترك الدعاء لما لا يكون ولا يحلّ ، ولا يستعجل فى الإجابه ، ولا يعلّم ربّه ما يصلحه ، فإنّه من أعلم الله ما لم يعلم اهتزّ له عرشه:

(عَسى أنْ تَكْرَهوا شَيْئاً وَهُوَ خَيْرٌ لَكُمْ وَعَسى أنْ تُحِبُّوا شَيْئاً وَهُوَ شَرٌّ لَكُمْ وَاللهُ يَعْلَمُ وَأنْتُمْ لا تَعْلَمونَ)[١٢].

كما على الداعى المؤمن أن يعرف ما فيه نجاته وما فيه هلاكه ، كى لا يدعو الله بشىء منه هلاكه وهو يظنّ أنّ فيه نجاته.

ثمّ المؤمن من دعاءه على ثلاث خصال : إمّا أن يدخّر به ، وإمّا أن يعجّل له ، وإمّا أن يدفع عنه بلاء يريد أن يصيبه[١٣].

وعلى الداعى أن يخلص فى الدعاء ، فقد قال الإمام الصادق (عليه السلام) : إذا أراد أحدكم أن لا يسأل الله شيئاً إلاّ أعطاه فلييأس من الناس كلّهم ، ولا يكون له رجاء إلاّ من عند الله عزّ وجلّ ، فإذا علم الله عزّ وجلّ ذلك من قلبه ، لم يسأل الله

شيئاً إلّا أعطاه.

لقد أشاد الإسـلام دين الله القويم بفضل الدعاء والداعين والسائلين والذاكرين ، وأهاب بالمسـلمين أن لا يتركوا الدعاء على كلّ حال وفى جميع الأحوال ، فى كلّ الاُمور صـغيرها وكبيرها ، وأن يكونوا على اتّصال دائم مع الله سـبحانه الـذى بيـده أزمّه الاُمور وجميع مجريات الأحـداث ، فلا بـدّ من العلاقه الوثيقه والارتباط العميق بين الإنسان وبين الله سـبحانه فى جميع شؤونه وأحواله ، فإنّه المعطى والمانع ، بيده العطاء والحرمان ، كما بيده المرض والشفاء.

ومن آثار الدعاء أ نّه وصـفه روحيه ، وهو من أوثق الأسـباب فى إزاله الأمراض ، فإنّ له تأثيراً بالغاً فى الشفاء من كلّ داء ومرض ، وقـد قرّرت البحوث الطـبيه الحـديثه ذلـك ، وأكّدت أنّ الطبّ الرّوحى من أهمّ الأسـباب فى إزاله الأسـقام وشـفاء الأمراض المستعصـيه ، لا سيّما الأمراض النفسـيه ، كما أنّ الشـفاء بيد الله سبحانه ، ولمثل هذا ورد فى الروايات الشريفه : « عليك بالدعاء فإنّه شفاء من كلّ داء».

وكم لنا من الشواهـد بالمئات رأيناها وقرأناها ، أنّ من المرضاء من يئس أهله من بُرئه وشـفائه ، إلاّ أ نّهم بالدعاء والتوسّل بالنبىّ وأهل بيته الأبرار وبالأولياء الأخيار شافاهم الله سبحانه ، وألبسهم ثوبى الصحّه والعافيه.

عندى صديق شابّ جامعى فى السـنه الأخيره من كليه الحقوق فى أهواز من مدن إيران (م ـ ن) ابتلى بالسـرطان ـ والعياذ بالله ـ فبعد الفحوصات الدقيقه فى طهران أخبره الدكتور بذلك وأ نّه بقى من عمره سـنه إلى سـنه ونصف ، فيقول فكّرت فى أمرى ماذا أفعل ؟ ! فصمّمت على أن أكتم المرض أوّلا حتّى على زوجتى ووالدتى وأهلى ، إذ قلت : لماذا

من الآن أجعلهم فى قلق واضطراب ، ثمّ فى كلّ شهر كنت اُسافر من أهواز إلى طهران للمعالجه الكيمياويه وأبذل من المال مئتى ألف تومان ، ثمّ قسّمت أموالى بين أهلى من دون أن يعلموا بذلك ، فوضعتها لهم فى البنك ، وفى إحدى الليالى من الساعه الحاديه عشره إلى السحر حفرت قبراً بجوار قبر والدىّ فى المقبره ، واشتغلت بالعباده والدعاء ، وخلال ثمانيه أشهر عبدت الله عباده عشرين سنه ، وبعد ثمانيه أشهر من المعالجه والأدعيه والأوراد والأذكار ، فحصنى الأطباء فلم يروا أثراً للسرطان أبداً ، فتعجّبوا من ذلك كثيراً ، ولكنّى أعلم أنّ ذلك من بركات الدعاء والعباده.

١ ــ طريق إلى الشفاء[١۴] :

اُصيب المرجع الدينى آيه الله العظمى السيّد عبد الأعلى السبزوارى ، أحد فقهاء مدرسه أهل البيت (عليهم السلام) ــ المتوفّى سنه ١۴١۴ هجريه ــ تغمّده الله بواسع رحمته وأسكنه فسيح جنّته بمرض القلب فى أحد سنىّ عمره الشريف ، وكان يباشر

فحصه الطبىّ أحد الأطباء ، فطلب الدكتور نقله إلى المستشفى لأنّ حالته خطره ، إلاّ أ نّه رفض الانتقال ، إذ كان لديه طريق خاصّ للشفاء السريع !

وهو الدعاء إلى الله تعالى والتوسّل بالإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) ، فنوى إن ألبسه الله تعالى ثوب العافيه ، كتب دوره فقهيّه كامله حول أحكام الشريعه الإسلاميه.

وإذا به يقوم فى ليلتها من النوم ، وهو لا يشكو من شىء ! فذهب إلى مسجد (السهله) بعد منتصف الليل رغم إلحاح أهله بعدم الذهاب ، خوفاً على صحّته.

وهكذا تعجّب الطبيب بعد فحصه ، عندما ظهر له اختفاء المرض ، وقد شوفى منه تماماً ، فقال : إنّ هذا لأمرٌ

خارقٌ للعاده.

وهكذا شرع فى الوفاء بالنذر ، وكتب كتابه الفقهى الاستدلالى العظيم فى ثلاثين مجلّداً ، وسمّاه (مهذّب الأحكام فى بيان الحلال والحرام).

٢ ـ المؤثّرات الغيبيه :

كان عمرى سبعه أعوام حين افتقدتنى اُمّى فى البيت ولم تسمع لى حسّاً !

أين كنت يا تُرى ؟

كنت ساقطاً فى سرداب تحت الأرض عمقه عشرون متراً تقريباً ، ومثل هذه السراديب العميقه جدّاً ، تُعرف فى مدينتنا (النجف الأشرف) باسم (سرداب السنّ) . إنّه مكان مهجور ومظلم ، تجمّعت فيه على مرّ الشهور والسنوات أوساخ وحشرات ، له درج ضيّق ونافذه أرضيّه فى ساحه دارنا المتواضع ، ولقد سقطت من هذه النافذه التى فتحتها بيدىّ وأنا صبىّ فى السابعه من العمر كما ذكرت لك.

وسقوطى كان على قمّه رأسى الذى خرقته عظمه كانت هناك على الأرض فدخلت فى رأسى حتّى أوشكت أن تصل إلى المخ كما يتبيّن لك من تلافيف هذه القصّه.

وأمّا بطنى ، فقد مزّقته زجاجه كانت (تنتظرنى) أيضاً ، وبعده ماذا تتوقّع أن تكون حالتى ؟

كنت مغميّاً علىّ ، والدماء تسيل ، ولا أحد يعرف عنّى شيئاً ، اُمّى أخذت تبحث عنّى فى زوايا البيت ، ولكن دون جدوى ، أجشت بالبكاء وهى تنادينى : « يا حسين ، أين أنت ؟ !».

ولكن لا جواب لمن تنادى ...

فصعدت إلى سطح البيت ، إذ كان أبى سماحه آيه الله العظمى السيّد عبد الأعلى السبزوارى (رحمه الله) يعدّ تحضيره الفقهى ويطالع الكتب والمصادر (المفروشه) بين يديه.

قالت ـ والعبره تخنقها ـ : يا سيّد ، قم وفتّش عن ولدك السيّد حسين . وهكذا اشتركا ـ الوالد والوالده ـ فى البحث عنّى

. فجأه وقعت عين أبى على حبل نافذه السرداب ، وإذا به مقطوع . فاقتحم الدرج المظلم المهجور ، حتّى وصل إلى عمق السرداب ، فوجدنى طريح الأرض ملطّخ بالدم ، وأنا فى غيبوبه.

حملنى على يديه صاعداً إلى الأعلى مسرعاً إلى المستشفى على بغله (وكانت أسرع الدوابّ فى ذلك العصر).

حاولوا إنقاذى من الغيبوبه بوضع الثلج على رأسى ، إلاّ أنّ الطبيب كان آيساً من عوده الحياه إلىَّ ثانيه.

فقال لوالدى : سيّدنا ، هيّئ نفسك للعزاء ، وإذا كنت مصرّاً على علاجه ، خذه إلى مستشفى الحلّه ، إذ لديهم وسائل أفضل.

ولكن مدينه الحلّه بعيده عن النجف ، وكانت وسائط النقل قليله وبدائيه آنذاك . حملنى أبى على يديه عائداً إلى البيت ، ربما كان يفكّر فى حلّ آخر أو علاج بالأدويه الشعبيّه مثلا.

بَيْدَ أنَّ اُمّى قالت : إنّ البيت لا يفيق فيه هذا الطفل المغمى عليه ، أرجعه إلى المستشفى ، فإذا قدّر الله له أن يحيا مرّه ثانيه فيحيا هناك.

وهكذا رجع بى والدى إلى نفس المستشفى ، وكان الأطباء ينظرون إلىَّ من زاويه اليأس.

ومرّ اليوم الثالث على إغمائى وليس فى الأمر من جديد.

هنا رفع والدى يديه إلى السماء متوسّلا بالإمام جعفر بن محمّد الصادق (عليه السلام) ، وهو يقسم عليه بالضلع المكسور لجدّته الزهراء المظلومه ، بنت الرسول محمّد (صلى الله عليه وآله) . ثمّ حملنى بعد هذا الدعاء مباشرةً ليخرج من المستشفى ، فما خطا إلاّ بضع خطوات ، وهو لم يتجاوز الممرّ ، وإذا بى أفتح عينى فى وجهه الكريم ، إنّها كانت إفاقه وسط استغراب الأطباء كلّهم فى المستشفى ، ممّا جعل بعضهم يعتقد بصحّه الأدعيّه ومؤثّراتها الغيبيّه ،

كما جعلهم ينظرون إلى السيّد الوالد نظره احترام وولاء خاصّه.

٣ ــ حيّ عاد من قبره :

توقّفت دقّات قلبه فجأه ، فاعتبروه ميّتاً ، والميّت عادهً يأخذونه إلى المغتسل ، وبعد غسله يكفّنونه ويصلّون عليه ويدفنونه ، أليس كذلك ؟

بلى ... ذلك ما حدث للعالم الجليل الشيخ أمين الدين الطبرسى (صاحب تفسير « مجمع البيان») المعروف.

إلاّـ أنّ الفرق بينه وبين غيره من الأموات هو أ نّه فتح عينه فى القبر ، فوجد نفسه مدفوناً ! فنذر لله تعالى هناك ، إن أنجاه الله وخرج حيّاً ، كتب تفسيراً للقرآن الكريم ، فما هى إلاّ دقائق وإذا بنبّاش كان يحفر القبر لينهب كفن الشيخ !

لقد استمرّ النبّاش فى نبشه حتّى وصل إلى جسد (المتوفّى) ! فأخذ يفتح الكفن (الغالى) ، إنّه يدرّ عليه ثمناً جيّداً فى السوق ! ولكن كادت روح النبّاش تزهق عندما أمسك الشيخ بيده ، وسرعان ما طمأنه قائلا : لا تخف ، هذه قصّتى ، ولقد استجاب الله نذرى ودعائى ، فاذهب إلى بيتى وآتنى بثيابى ، وسوف أُعطيك أكثر ممّا تريد ، على أن لا تعود إلى نبش القبور مرّه أُخرى !

وهكذا رجع الشيخ الطبرسى إلى البيت فى وسط استغراب الجميع ، فقام بتأليف كتابه فى تفسير القرآن ، وفاءً للنذر ، ويعدّ كتابه الآن من أهمّ كتب الشيعه فى التفسير . ثمّ إنّه انتقل إلى رحمه الله الواسعه شهيداً ، فى التاسع من شهر ذى الحجّه سنه ٥٤٨ الهجريه ، وذلك فى هجوم شنّه المتمرّدون على السلطان سنجر السلجوقى فى خراسان ، فقُتل هذا الشيخ وجمعٌ من الناس ، ودُفن جثمانه الطاهر فى جوار مرقد

الإمام الرضا (عليه السلام).

۴ ـ دعاء لشفاء ولدى :

عرض تلفزيون الجمهوريه الإسلاميه فيلماً عن وصول آيه الله العظمى الگلپايگانى إلى إيران قبل أكثر من عامين تقريباً إثر إصابته بوعكه صحّيه وسفره إلى لندن للعلاج . فكان فى استقباله بعض رجال الدوله والشخصيات الدينيه وجمهور من الناس فى منتصف الليل.

وقف أحد علماء الدين من أئمه مساجد طهران إلى جانب السيّد الگلپايگانى وأخذ يشكر الحاضرين فى كلمه مرتجله لاستقبالهم السيّد فى ذلك الوقت المتأ خّر من الليل البارد ، ثمّ ذكر القصّه التاليه وهو يستجيز سماحه السيّد فى نقلها ، فقال : عندنا فى المسجد امرأه متديّنه ولها خدمات تنبئ عن إخلاصها وتقرّبها عند الله تعالى ، من تلك الخدمات التزامها بتعليم أطفال وبنات المحلّه مفاهيم القرآن الكريم والتلاوه والتجويد . جاءتنى ذات مرّه وقالت : إنّى رأيت فى المنام مجلساً يضمّ الصالحين من العباد ، وكانت فيه السيّده فاطمه الزهراء (عليها السلام) ، فالتفتت إلىَّ وقالت : لماذا لا تدعين لولدى محمّد رضا بالشفاء ؟

قلت لها : لا نعلم لكِ ولداً بهذا الإسم.

قالت : ولدى السيّد محمّد رضا الگلپايگانى !

وهكذا كان لدعاء المؤمنين أثر كبير فى شفاء السيّد الگلپايگانى (رحمه الله) آنذاك[۱۵].

وهناك المئات والاُلوف من القصص والحكايات التى تدلّ بالصراحه والوضوح على أثر الدعاء والتوسّل فى حياه المريض.

فالأجسام تمرض ، وأمير المؤمنين على (عليه السلام) يقول:

« ليس للأجسام نجاه من الأسقام».

« لا رزيّه أعظم من دوام سقم الجسد».

»

ألا وإنّ من البلاء الفاقه ، وأشدّ من الفاقه مرض البدن ، وأشدّ من مرض البدن مرض القلب».

« مسكين ابن آدم ، مكتوم الأجل ، مكفون العلل ، محفوظ العمل ، تؤلمه البقّه ، وتقتله الشرقه ، وتنتنه العرقه».

»

كفى بالسلامه داء».

ومن دعائه (عليه السلام) يوم الهرير:

« اللّهم إنّى أعوذ بك ... من سقم يشغلنى ، ومن صحّه تلهينى».

كان داود (عليه السلام) يقول : اللّهم لا مرض يضننى ، ولا صحّه تنسينى».

مرّ أعرابى على رسول الله (صلى الله عليه وآله) ، فقال له : أتعرف أُمّ ملدم ؟ قال : وما أُمّ ملدم ؟ قال : صداع يأخذ الرأس ، وسخونه فى الجسد . فقال الأعرابى : ما أصابنى هذا قطّ . فلمّا مضى قال : من سرّه أن ينظر إلى رجل من أهل النار ، فلينظر إلى هذا».

« إنّ الجسد إذا لم يمرض أشر ، ولا خير فى جسد لا يمرض بأشر».

فالمرض من لوازم الحياه ، وإنّ الله خلق الموت والحياه ليبلوكم أ يّكم أحسن عملاـ ، وقد سأل الزنديق الإمام الصادق (عليه السلام) قائلا : فيما استحقّ الطفل الصغير ما يصيبه من الأوجاع والأمراض بلا ذنب عمله ، ولا جرم سلف منه ؟

قال (عليه السلام) : إنّ المرض على وجوه شتّى : مرض بلوى ، ومرض العقوبه ، ومرض جعل عليه الفناء ، وأنت تزعم أنّ ذلك من أغذيه رديئه وأشربه وبيئه ، ومن علّه كانت بأُمّه ، وتزعم أنّ من أحسن السياسه لبدنه ، وأجمل النظر فى أحوال نفسه ، وعرف الضارّ ممّـا يأكل من النافع ، لم يمرض ، وتميل فى قولك إلى من يزعم أ نّه لا يكون المرض والموت إلاّ من المطعم والمشرب ، قد مات أرسطاطاليس معلّم الأطباء ، وأفلاطون رئيس الحكماء ، وجالينوس شاخ ودقّ بصره ، وما دفع الموت حين نزل بساحته.

وهذا يعنى أنّ المرض ليس من الأكل والشرب والإفراط فيها ، بل هو على

أقسام وأنواع ، فمنه من الله سبحانه لترفيع مقام المؤمن وكفّاره لذنوبه ، ومنه من الإنسان فهو الذى يمرض نفسه.

يقول رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« لا يمرض مؤمن ولا مؤمنه ، ولا مسلم ولا مسلمه ، إلاّ حطّ الله به خطيئته».

« المريض تحاتّ خطاياه كما يتحاتّ ورق الشجر».

« عجبت من المؤمن جزعه من السقم ، ولو يعلم ما له فى السقم من الثواب ، لأحبّ أن لا يزال سقيماً حتّى يلقى ربّه عزّ وجلّ».

« إنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) رفع رأسه إلى السماء فتبسّم ، فقيل له : يا رسول الله ، رأيناك رفعت رأسك إلى السماء فتبسّمت ؟ قال : نعم ، عجبت لملكين هبطا من السماء إلى الأرض يلتمسان عبداً مؤمناً صالحاً فى مصلىً كان يصلّى فيه ليكتبا له عمله فى يومه وليلته ، فلم يجداه فى مصلاّه ، فعرجا إلى السماء فقالا : ربّنا عبدك المؤمن فلان التمسناه فى مصلاّه لنكتب له عمله ليومه وليلته فلم نصبه فوجدناه فى حبالك ؟ فقال الله عزّ وجلّ : اكتبا لعبدى مثل ما كان يعمله فى صحّته من الخير فى يومه وليلته ما دام فى حبالى ، فإنّ علىَّ أن أكتب له أجر ما كان يعمله فى صحّته إذا حبسته عنه».

« إذا مرض المؤمن أوحى الله عزّ وجلّ إلى صاحب الشمال : لا تكتب على عبدى ما دام فى حبسى ووثاقى ذنباً . ويوحى إلى صاحب اليمين : أن اكتب لعبدى ما كنت تكتبه فى صحّته من الحسنات».

« سهر ليله من مرض أو وجع أفضل وأعظم أجراً من عباده سنه».

هذا للمؤمنين ، فإنّ الله سبحانه إمّا أن يحطّ عنهم سيّئاتهم بمرضهم ،

أو يرفع درجاتهم بذلك.

وقد ورد أ نّه ربما يصاب المؤمن بالمرض حينما يغفل عن الله ، وأنّ أنّ ليحبّ أن يسمع مناجاته ودعائه ، فيلقى عليه المرض حتّى يلجأ إليه ويدعوه ويسأله ، ليسمع صوته وذكره وتضرّعه ، وهذا نوع من الحبّ بين العبد وسيّده.

وما أروع المريض الذى يكتم مرضه ، وما أصبره وما أحكمه ! !

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« من كنوز البحر : كتمان المصائب والأمراض والصدقه».

« أربع من كنز الجنّه : كتمان الفاقه ، وكتمان الصدقه ، وكتمان المصيبه ، وكتمان الوجع».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام) يصف أخاً له فى الدين:

« كان لى فيما مضى أخٌ فى الله ، وكان يعظّمه فى عينى صغر الدنيا فى عينه ... وكان لا يشكو وجعاً إلاّ عند برئه».

« أوحى الله إلى عُزير ... وإذا نزلت إليك بليّه فلا تشكُ إلى خلقى كما لا أشكوك إلى ملائكتى عند صعود مساويك وفضائحك».

قال رسول الله (صلى الله عليه وآله):

« قال الله عزّ وجلّ : من مرض ثلاثاً فلم يشكُ إلى أحد من عوّاده أبدلته لحماً خيراً من لحمه ، ودماً خيراً من دمه ، فإن عافيته عافيته ولا ذنب له ، وإن قبضته قبضته إلى رحمتى».

« من مرض يوماً وليله فلم يشكُ إلى عوّاده بعثه الله يوم القيامه مع خليله إبراهيم خليل الرحمن حتّى يجوز الصراط كالبرق اللامع».

قال أمير المؤمنين على (عليه السلام):

« من كتم وجعاً أصابه ثلاثه أيّام من الناس وشكى إلى الله عزّ وجلّ كان حقّاً على الله أن يعافيه من ذلك البلاء»[١٦].

والمستفاد من هذه الروايات أنّ المريض يرجع فى مرضه إلى الطبيب المعالج ، وإذا نام فى فراش المرض وعاده الأحبّاء والأصدقاء

، فلاـ يشكو إليهم مرضه ، بل يحمد الله سبحانه ويشكره على كلّ حال وفى جميع الأحوال ، وإنّما يبثّ حزنه وشكواه إلى الله سبحانه ويدعوه فى الشفاء ، فإنّه المشافى المعافى ويا من اسمه دواء وذكره شفاء.

كما إنّ التوسّل بالنبىّ الأكرم محمد (صلى الله عليه وآله) وعترته وأهل بيته الأئمه الهداه الميامين له تأثير بالغ فى قضاء الحوائج وشفاء الأمراض والأسقام ، كما ورد فى الروايات الكثيره.

قال أمير المؤمنين علىّ (عليه السلام):

« ذكرنا أهل البيت شفاء من العلل والأسقام ووسواس الريب»[١٧].

وعن حسين بن الروح ، عن مولانا صاحب الأمر (عليه السلام) ، فى زياره الأئمه الأطهار (عليهم السلام) فى رجب قال (عليه السلام):

« الحمد لله الذى أشهدنا مشهد أوليائه فى رجب ، وأوجب علينا من حقّهم ما قد وجب ، وصلّى الله على محمّد المنتجب ، وعلى أوصيائه الحُجب ، اللّهم فكما أشهدتنا مشهدهم فأنجز لنا موعدهم ، وأوردنا موردهم ، غير ملتجئين عن ورد فى دار المقامه والخلد ، والسلام عليكم ، إنّى قصدتكم واعتمدتكم بمسألتى وحاجتى وهى فكاك رقبتى من النار والمقرّ معكم فى دار القرار ، مع شيعتكم الأبرار ، والسلام عليكم بما صبرتم ، فنعم عُقبى الدار ، أنا سائلكم وآملكم فيما إليكم التفويض ، وعليكم التعويض ، فبكم يجبر المهيض ويشفى المريض ، وما تزداد الأرحام وما تغيض ، إنّى بسرّكم مؤمن ولقولكم مسلّم وعلى الله بكم مقسم فى رجعى بحوائجى وقضائها وإمضائها وإنجاحها وإبرامها وبشؤونى لديكم وصلاحها ، والسلام عليكم»[١٨].

شيخنا المفيد بسنده عن أبى جعفر (عليه السلام) ، قال : « من دعا الله بنا أفلح ، ومن دعاه بغيرنا هلك واستهلك»[١٩].

شيخنا الصدوق بسنده عن أبى جعفر (عليه

السلام) ، قال : قال جابر الأنصارى : قلت لرسول الله (صلى الله عليه وآله) : ما تقول فى علىّ بن أبى طالب ؟ فقال : ذاك نفسى . قلت : فما تقول فى الحسن والحسين ؟ قال : هما روحى ، وفاطمه اُمّهما ابنتى يسوؤنى ما ساءها ويسرّنى ما سرّها ، أشهد أ نّى حرب لمن حاربهم ، سلم لمن سالمهم ، يا جابر ، إذا أردت أن تدعو الله فيستجيب لك ، فادعه بأسمائهم ، فإنّها أحبّ الأسماء إلى الله عزّ وجلّ[٢٠].

قال الرضا (عليه السلام) : إذا نزلت بكم شديده فاستعينوا بنا على الله عزّ وجلّ ، وهو قوله عزّ وجلّ : (وَللهِ الأَسْماءُ الحُسْنى فَادْعوهُ بِها).

فمن أنجح الأسباب وأوثق الوسائل فى حياه المسلم ، لا سيّما المريض هو الدعاء والتوسّل بأولياء الله ، فبهم يجبر المهيض ويشفى المريض ، ويستجاب الدعاء وتقبل الأعمال ، وتهذّب النفوس وتسعد القلوب.

كما إنّ النوافل والصلوات والنذور والختومات من العوامل المهمّه فى كمال الإنسان وسعادته وشفائه من الأمراض والأسقام ، فكم من مريض شافاه الله سبحانه بنذر نذره لله سبحانه ، وبجاه وليّه أو نبيّه ، بإطعام ، أو ذبيحه للفقراء ، أو زياره ، أو تأسيس مشاريع خيريّه ، وما شابه ذلك.

وأمّا النوافل والصلوات المستحبّه ، فأكتفى بروايتين فى خصوص صلاه الليل وقيامه ، ليكون شاهداً على ما نعتقده ونذهب إليه.

فقد ورد عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أ نّه قال : عليكم بقيام الليل ، فإنّها سنّه نبيّكم ، ودأب الصالحين من قبلكم ، ومطرده الداء من أجسادكم.

وقال أمير المؤمنين على (عليه السلام) : قيام الليل مصحّه للبدن ، وتمسّك بأخلاق النبيّين ، ورضى

ربّ العالمين[۲۱].

وأمّا فى أعمال الجوانح والقلب ، فمن الدواء الإيمان بالله ومعرفته[۲۲].

قال الإمام الرضا (عليه السلام) : لو يعلم الناس ما فى فضل معرفه الله عزّ وجلّ ، ما مدّوا أعينهم إلى ما متّع الله به الأعداء من زهره الحياه الدنيا ونعيمها ، وكانت دنياهم أقلّ عندهم ممّا يطؤونه بأرجلهم ، ولنُعِموا بمعرفه الله جلّ وعزّ وتلذّذوا بها تلذّذ من لم يزل فى روضات الجنان مع أولياء الله.

إنّ معرفه الله عزّ وجلّ آنس من كلّ وحشه ، وصاحب من كلّ وحده ، ونور من كلّ ظلمه ، وقوّه من كلّ ضعف ، وشفاء من كلّ سقم[۲۳].

ختامه مسک :

وختاماً حبّذا أن نذكر نماذج من الأدعيه الشريفه المأثوره عن الرسول الأعظم محمّد (صلى الله عليه وآله) وعترته الأطهار الأئمه الأبرار (عليهم السلام) ، وما أروع وأجمل الطبيب المسلم المعتقد والملتزم والمتخلّق بأخلاق الله سبحانه أن يوصى مرضائه بتلاوتها والمداومه عليها ، فإنّ الدالّ على الخير كفاعله ، وإنّه من زرع الأمل فى قلب المريض ، ومن سلامه الفرد والمجتمع وسوق الناس إلى الله ، وإلى الفضائل والروحيات والمعنويات والاتّصال بالملأ الأعلى ، والسير فى عالم الملكوت ، والتوجّه إلى معدن الرحمه والجود والفيض المقدّس ، ويعيش الطبيب والمريض فى هاله قدسيّه ، تشملهما الرحمه الإلهيه ، وتعمّهما الفيوضات الربانيه.

فمن الأدعيه:

۱ ــ عن الإمام أبى جعفر الباقر (عليه السلام) ، قال : إذا اشتكى أحدكم شيئاً فليقل:

« بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ ، وَصَلَّى اللهُ عَلى رَسولِ اللهِ وَأهْلِ بَيْتِهِ ، وَأعوذُ بِعِزَّهِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ عَلى ما يَشاءُ مِنْ شَرِّ ما أجِدْ»[۲۴] .

۲ ــ عن خالد العبسى ، قال : علّمنى على بن موسى (عليهما السلام) هذه العوذه ، وقال

: علّمها إخوانك من المؤمنين ، فإنّها لكلّ ألم ، وهى:

« أُعيذُ نَفْسى بِرَبِّ الأرْضِ وَرَبِّ السَّماءِ ، أُعيذُ نَفْسى بِالَّذى لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ داء ، أُعيذُ نَفْسى بِالَّذى اسْمُهُ بَرَكَةٌ وَشِفاء»[٢٥] .

٣ ــ عن سعد المزنى ، قال : أملى علينا أبو عبد الله الصادق (عليه السلام) العوذه التى تسمّى الجامعه:

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم ، بِسْمِ اللهِ الَّذى لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ شَىْءٌ فى الأرْضِ وَلا فى السَّماءِ ، اللّهُمَّ إنِّى أسْألُكَ بِاسْمِكَ الطّاهِرِ الطُّهْرِ المُطَهَّرِ المُقَدَّسِ السَّلامِ المُؤْمِنِ المُهَيْمِنِ المُبارَكِ الَّذى مَنْ سَألَكَ بِهِ أعْطَيْتَهُ ، وَمَنْ دَعاكَ بِهِ أجَبْتَهُ ، أنْ تُصَلِّىَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد ، وَأنْ تُعافينى مِمّا أجِدُ فى سَمْعى وَبَصَرى وَفى يَدى وَرِجْلى وَفى شَعْرى وَبَشَرى وَفى بَطْنى ، إنَّكَ لَطيفٌ لِما تَشاءُ وَأنْتَ عَلى كُلِّ شَىْء قَديرٌ».

٤ ــ وعن أبى عبد الله (عليه السلام) ، أ نّه قال : دعاء المكروب فى الليل:

« يا مُنْزِلَ الشِّفاءِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، وَمُذْهِبَ الدّاءِ بِاللَّيْلِ وَالنَّهارِ ، أنْزِلْ عَلَىَّ مِنْ شِفائِكَ لِكُلِّ ما بى مِنَ الدّاءِ».

٥ ــ عن أبى عبد الله (عليه السلام) ، قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) إذا أصابه كسل أو صداع بسط يده فقرأ فاتحه الكتاب والمعوّذتين ، ثمّ يمسح بهما وجهه ، فيذهب عنه ما كان يجد.

٦ ــ عن الإمام الصادق (عليه السلام) ، لمّا سئل عن دعاء المكروب ، فقال : دعاء المكروب إذا صلّى صلاه الليل ، يضع يده على موضع سجوده ، وليقل:

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ ، مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ ، عَلِىٌّ إمامُ اللهِ فى أرْضِهِ عَلى جَميعِ عِبادِهِ ، اشْفِنى يا شافى ، لا شِفاءَ

إلاّ شِفاؤُكَ ، شِفاءً لا يُغادِرُ سُقْماً مِنْ كُلِّ داء وَسُقْم».

قال الخراسانى : لا أدرى أ نّه قال : يقولها ثلاث مرّات ، أو سبع مرّات.

٧ ــ عن أبى عبد الله (عليه السلام) ، وأوصى أصحابه وأولياءه : من كان به علّه فليأخذ قلّه جديده ، وليجعل فيها الماء ، وليستقى الماء بنفسه ، وليقرأ على الماء سوره (إنَّا أنْزَلْناهُ) على الترتيل ثلاثين مرّه ، ثمّ ليشرب من ذلك الماء ، وليتوضّأ وليمسح به ، وكلّما نقص زاد فيه ، فإنّه لا يظهر ذلك ثلاثه أيّام إلاّ يعافيه الله تعالى من ذلك الداء.

٨ ــ عن الإمام جعفر بن محمّد (عليه السلام) ، عن أبيه (عليه السلام) ، قال : قال النبىّ (صلى الله عليه وآله) وقد فقد رجلا ، فقال : ما أبطأ بك عنّا ؟ فقال : السقم والعيال . فقال : ألا اُعلّمك بكلمات تدعو بهنّ ، يذهب الله عنك السقم ، وينفى عنك الفقر ، تقول:

« لا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظيم ، تَوَكَّلْتُ عَلى الحَيِّ الَّذى لا يَموتُ ، الحَمْدُ للهِ الَّذى لَمْ يَتَّخِذْ وَلَداً وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَريكٌ فى المُلْكِ ، وَلَمْ يَكُنْ لَهُ وَلِيٌّ مِنَ الذُّلِّ وَكَبِّرْهُ تَكْبيراً».

٩ ــ للشفاء من كلّ داء : روى عن رسول الله (صلى الله عليه وآله) أ نّه قال : علّمنى جبرئيل دواء لا يحتاج معه إلى دواء . فقيل : يا رسول الله ، ما ذلك الدواء ؟ قال : يؤخذ ماء المطر قبل أن ينزل إلى الأرض ، ثمّ يجعل فى إناء نظيف ، ويقرأ عليه الحمد لله إلى آخرها (سوره الحمد) سبعين مرّه ،

ثمّ يشرب منه قدحاً بالغداه ، وقدحاً بالعشىّ ، قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : والذى بعثنى بالحقّ لينزعنّ الله ذلك الداء من بدنه وعظامه ومخيخه وعروقه.

ومثله : يؤخذ سبع حبّات شونيز (الحبّه السوداء) وسبع حبّات عدس ، وشىء من طين قبر الحسين (عليه السلام) ، وسبع قطرات عسل ، ويجعل فى ماء أو دهن ، ويقرأ عليه فاتحه الكتاب والمعوّذتين وقل هو الله أحد وآيه الكرسى وأوّل الحديد إلى قوله ترجع الأُمور وآخر الحشر.

١٠ ــ قال أبو جعفر (عليه السلام) : قال الله تبارك وتعالى : (وَنُنَزِّلُ مِنَ القُرْآنِ ما هُوَ شَفاءٌ وَرَحْمَهٌ لِلْمُؤْمِنينَ) ، وقال الله عزّ وجلّ : (يُخْرِجُ مِنْ بُطونِها شَرابٌ مُخْتَلِفٌ أَلْوانُهُ فيهِ شِفاءٌ لِلْنّاسِ) ، وقال النبىّ (صلى الله عليه وآله) : « الحبّه السوداء شفاء من كلّ داء إلاّ السامّ» ، ونحن نقول : « بظهر الكوفه قبر ــ أى قبر أمير المؤمنين على (عليه السلام) فى النجف الأشرف ــ لا يلوذ به ذو عاهه إلاّ شفاه الله تعالى».

وهذه الكرامه والبركه جاريه فى كلّ قبور الأئمه الطاهرين (عليهم السلام).

١١ ــ دعاء المريض لنفسه : يستحبّ للمريض أن يقوله ويكرّر:

« لا إلهَ إلاّ اللهُ يُحْيى وَيُميتُ وَهُوَ حَيٌّ لا يَموتُ ، سُبْحانَ اللهِ رَبِّ العِبادِ وَالبِلادِ ، وَالحَمْدُ للهِ حَمْداً كَثيراً طَيِّباً مُبارَكاً فيهِ عَلى كُلِّ حال ، وَاللهُ أَكْبَرُ كَبيراً ، كِبْرِياءُ رَبِّنا وَجَلالُهُ وَقُدْرَتُهُ بِكُلِّ مَكان ، اللّهُمَّ إنْ كُنْتَ أمْرَضْتَنى لِقَبْضِ روحى فى مَرَضى هذا ، فَاجْعَلْ روحى فى أرْواحِ مَنْ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الحُسْنى ، وَباعِدْنى مِنَ النّارِ ، كَما باعَدْتَ أوْلِيائَكَ الَّذينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنْكَ الحُسْنى».

١٢ ــ عن الرسول

الأكرم (صلى الله عليه وآله) : تضع يدك على فمك وتقول ثلاث مرّات:

« بِسْمِ اللهِ ، بِجَلالِ اللهِ ، بِعَظَمَهِ اللهِ ، بِكَلِماتِ اللهِ التَّامَّاتِ ، بِأسْماءِ اللهِ الحُسْنى».

ثمّ تضع يدك على موضع الوجع وتقول:

« بِسْمِ اللهِ ، بِسْمِ اللهِ ، بِسْمِ اللهِ».

ثلاث مرّات ، ثمّ تقول سبع مرّات:

« اللّهُمَّ امْسَحْ ما بى».

وتقول عند الشفاء إذا شفاك الله:

« الحَمْدُ للهِ الَّذى خَلَقَنى فَهَدانى ، وَأطْعَمَنى وَسَقانى ، وَصَحَّحَ جِسْمى وَشَفانى ، لَهُ الحَمْدُ وَلَهُ الشُّكْرُ».

١٣ ــ من خطّ الشهيد (قدس سره) ، عن ابن عباس ، قال : كان رسول الله (صلى الله عليه وآله) يعلّمنا من الأوجاع كلّها أن نقول:

« بِاسْمِ الكَبيرِ ، أعوذُ بِاللهِ العَظيمِ مِنْ شَرِّ عِرْق نَعَّار ، وَمِنْ حَرِّ النَّارِ».

١٤ ــ مرض أمير المؤمنين (عليه السلام) ، فقال له رسول الله (صلى الله عليه وآله) : يا عليّ قل:

« اللّهُمَّ إنِّى أسْألُكَ تَعْجيلَ عافِيَتِكَ ، أوْ صَبْراً عَلى بَلِيَّتِكَ ، أوْ خُروجاً إلى رَحْمَتِكَ».

١٥ ــ عن أبى عبد الله (عليه السلام) ، قال : تضع يدك على الموضع الذى فيه الوجع ، وتقول ثلاث مرّات:

« اللهُ اللهُ رَبِّى حَقّاً لا اُشْرِكُ بِهِ شَيْئاً ، اللّهُمَّ أنْتَ لَها وَلِكُلِّ عَظيمَه فَفَرِّجْها عَنِّى».

١٦ ــ وعن النبىّ (صلى الله عليه وآله) ، علّمه بعض أصحابه من وجع ، قال : اجعل يدك اليمنى عليه فقل:

« بِسْمِ اللهِ أعوذُ بِعِزَّهِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ مِنْ شَرِّ ما أجِدُ».

١٧ ــ وعنه (صلى الله عليه وآله) قال : من عاد مريضاً فليقل:

« اللّهُمَّ اشْفِ عَبْدَكَ يَنْكى لَكَ عَدُوّاً وَيَمْشِ لَكَ إلى الصَّلاهَ».

١٨ ــ وروى أ نّه (صلى الله عليه وآله) كان يقول إذا دخل على مريض:

« إمْسَحِ البَأسَ

رَبَّ النَّاسِ بِيَدِكَ الشِّفاءُ لا كاشِفَ لِلْبَلاءِ إلاّ أنْتَ».

۱۹ ــ ومثله:

« أذْهِبِ البَأسَ رَبَّ النَّاسِ وَاشْفِ أنْتَ الشَّافى لا شِفاءَ إلاّ شِفاؤُكَ شِفاءً لا يُغادِرُ سُقْماً ، اللّهُمَّ أصْلِحِ القَلْبِ وَالجِسْمَ ، وَاكْشِفِ السُّقْمُ وَأجِبِ الدَّعْوَهِ».

۲۰ ــ وقال (صلى الله عليه وآله) : من دخل على مريض لم يحضر أجله ، فقال:

« أسْألُ اللّهَ العَظيمَ رَبَّ العَرْشِ العَظيمِ أنْ يَشْفيكَ».

عوفى[۲۶].

۲۱ ــ عن الإمام الباقر أو الصادق (عليهما السلام) ، قال : ما قرئت الحمد سبعين مرّه إلاّ سكن (الوجع) ، وإن شئتم فجرّبوه ولا تشكّوا.

۲۲ ــ وعن ابن عباس ، قال : كنت عند علىّ بن أبى طالب (عليه السلام) جالساً فدخل عليه رجل متغيّر اللون ، فقال : يا أمير المؤمنين ، إنّى رجل مِسقام كثير الأوجاع ، فعلّمنى دعاء أستعين به على ذلك ، فقال : أُعلّمك دعاء علّمه جبرئيل (عليه السلام) لرسول الله (صلى الله عليه وآله) فى مرض الحسن والحسين ، وهو هذا الدعاء:

« إلهى كَما أنْعَمْتَ عَلَىَّ نِعْمَهً قَلَّ لَكَ عِنْدَها شُكْرى ، وَكُلَّما ابْتَلَيْتَنى بِبَلِيَّهً قَلَّ لَكَ عِنْدَها صَبْرى ، فَيا مَنْ قَلَّ شُكْرى عِنْدَ نِعَمِهِ ، فَلَمْ يَحْرِمَنى ، وَيا مَنْ قَلَّ صَبْرى عِنْدَ بَلائِهِ ، فَلَمْ يَخْذِلَنى ، وَيا مَنْ رَآنى عَلى المَعاصى فَلَمْ يَفْضَحَنى ، وَيا مَنْ رَآنى عَلى الخَطايا فَلَمْ يُعاقِبْنى عَلَيْها ، صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد ، وَاغْفِرْ لى ذَنْبى وَاشْفِنى مِنْ مَرَضى إنَّكَ عَلى كُلِّ شَىْء قَديرٌ».

قال ابن عباس : فرأيت الرجل بعد سنه حسن اللون ، مشرّب الحمره ، قال : وما دعيت الله بهذا الدعاء وأنا سقيم إلاّ شفيت ، ولا مريض إلاّ برئت ، وما دخلت على

سلطان أخافه إلاّ ردّه الله عزّ وجلّ عنّى.

٢٣ ــ عن سعيد بن أبى الفتح بن الحسن القمى النازل بواسط قال : حدث بى مرض أعيا الأطباء ، فأخذنى والدى إلى المارستان ــ المستشفى ــ فجمع الأطباء والساعور ــ رأس الأطباء ــ فافتكروا فقالوا : هذا مرض لا يزيله إلاّ الله تعالى ، فعدت وأنا منكسر القلب ، ضيّق الصدر ، فأخذت كتاباً من كتب والدى فوجدت على ظهره مكتوباً : عن الصادق (عليه السلام) يرفعه عن آبائه عن النبىّ (صلى الله عليه وآله) قال : من كان به مرض فقال عقيب الفجر أربعين مرّه:

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ ، الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ حَسْبُنا اللهُ ونِعْمَ الوَكيلُ ، تَبارَكَ اللهُ أحْسَنُ الخالِقينَ ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّةَ إلاّ بِاللهِ العَلِيِّ العَظيمِ».

ومسح بيده عليها أزاله الله تعالى عنه وشفاه ، فصابرت الوقت إلى الفجر ، فلمّا طلع الفجر صلّيت الفريضه وجلست فى موضعى وأُردّدها أربعين مرّه ، وأمسح بيدى على المرض ، فأزاله الله تعالى ، فجلست فى موضعى وأنا خائف أن يعاود، فلم أزل كذلك ثلاثه أيّام ، وأخبرت والدى بذلك ، فشكر الله تعالى ، وحكى ذلك لبعض الأطباء وكان ذمّياً ، دخل علىّ فنظر إلى المرض وقد زال ، فحكيت له الحكايه فقال : أشهد أن لا إله إلاّ الله ، وأنّ محمّداً رسول الله ، وحسن إسلامه[٢٧].

٢٤ ــ عن أبى الحسن العسكرى (عليه السلام) ، عن آبائه (عليهم السلام) ، قال : قال الصادق (عليه السلام) : من نالته علّه فليقرأ فى جيبه (الحمد) سبع مرّات ، فإن ذهبت العلّه ، وإلاّ فليقرأها سبعين مرّه ، وأنا الضامن له العافيه.

ـ وقال (عليه السلام) : ليقل أحدكم إذا هو اشتكى:

« اللّهُمَّ اشْفِنى بِشِفائِكَ وَداوِنى بِدَوائِكَ وَعافِنى مِنْ بَلائِكَ».

فإنّه لعلّه أن يقولها ثلاث مرّات حتّى يرى العافيه.

٢٦ ـ وجاء فى بحار الأنوار : عوذه جرّبناها لسائر الأمراض ، فتزول بقدره الله تعالى جلّ جلاله الذى لا يخيب لديه المأمول ، إذا عرض مرض فاجعل يدك اليمنى عليه وقل:

« اسْكُنْ أيُّها الوَجَعْ وَارْتَحِلِ السّاعَةَ مِنْ هذا العَبْدِ الضَّعيفِ ، سَكَّنْتُكَ وَرَحَّلْتُكَ بِالَّذى سَكَنَ لَهُ ما فى اللَّيْلِ وَالنَّهارِ وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ».

فإن لم يسكن فى أوّل مرّه فقل ذلك ثلاث مرّات أو حتّى يسكن إن شاء الله تعالى.

٢٧ ـ فيما نذكره لزوال الأسقام وجرّبناه فبلغنا به نهايات المرام يكتب فى رقعه:

«

يا مَنْ اسْمُهُ دَواءٌ وَذِكْرُهُ شِفاءٌ ، يا مَنْ يَجْعَلِ الشَّفاءَ فيما يَشاءُ مِنَ الأشْياءُ ، صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد وَاجْعَلْ شِفائى مِنْ هذا الدَّاءِ فى اسْمِكَ هذا يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله يا الله ، يا رَبُّ يا رَبُّ يا رَبُّ يا رَبُّ يا رَبُّ يا رَبُّ يا رَبُّ يا رَبُّ يا رَبُّ يا رَبُّ ، يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ يا أرْحَمَ الرَّاحِمينَ».

هذه جمله من الأدعيه فى مطلق الأوجاع والأسقام والأمراض ، وقد ورد عن الرسول وعترته (عليهم السلام) ، أدعيه ومعوّذات أيضاً لأوجاع خاصّه كوجع العين أو الأسنان أو البطن أو القلب ، وهكذا باقى الأعضاء والجوارح أو الحمّى أو غيرها.

٢٨ ـ عن الصادق (عليه السلام) ، عن

أبيه (عليه السلام) ، أنّ رسول الله (صلى الله عليه وآله) اشتكى الصداع ، فنزل عليه جبرئيل (عليه السلام) فرقاه فقال:

« بِسْمِ اللهِ يَشْفيكَ ، بِسْمِ اللهِ يَكْفيكَ مِنْ كُلِّ داء يُؤْذيكَ ، خُذْها فَلْيَهْنيكَ».

٢٩ ــ عن أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) ، لوجع الإذن ، قال : ضع يدك عليه وقل:

« أعوذُ بِاللهِ الَّذى سَكَنَ لَهُ ما فى البَرِّ وَالبَحْرِ وَالسَّماواتِ وَالأَرْضِ ، وَهُوَ السَّميعُ العَليمُ».

سبع مرّات فإنّه يبرأ بإذن الله تعالى.

٣٠ ــ قالوا (عليهم السلام) : من قال إذا عطس:

« الحَمْدُ للهِ رَبِّ العالَمينَ عَلى كُلِّ حال ، وَصَلَّى اللهُ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد».

لم يشتكِ شيئاً من أضراسه ولا من اُذنيه.

٣١ ــ لوجع العين ، عن أبى عبد الله (عليه السلام) : ألا اُعلّمك دعاءً لدنياك وآخرتك وتكفى به وجع عينك ؟ فقلت : بلى . فقال : تقول فى دبر الفجر ودبر المغرب:

« اللّهُمَّ إنِّى أسْألُكَ بِحَقِّ مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد عَلَيْكَ ، أنْ تُصَلِّىَ عَلى مُحَمَّد وَآلِ مُحَمَّد ، وَأنْ تَجْعَلَ النُّورَ فى بَصَرى ، وَالبَصيرَةَ فى دينى ، وَاليَقينَ فى قَلْبى ، وَالإخْلاصَ فى عَمَلى ، وَالسَّلامَةَ فى نَفْسى ، وَالسَّعَةَ فى رِزْقى ، وَالشُّكْرَ لَكَ ما أبْقَيْتَنى».

وفى روايه : تقول ذلك سبع مرّات قبل أن تقوم من مقامك.

٣٢ ــ عن الإمام الباقر (عليه السلام) ، قال : كان النبىّ (صلى الله عليه وآله) إذا رمد هو أو أحد من أهله أو من أصحابه دعا بهذه الدعوات:

« اللّهُمَّ مَتِّعْنى بِسَمْعى وَبَصَرى وَاجْعَلْهُما الوارِثَيْنِ مِنِّى ، وَانْصُرْنى عَلى مَنْ ظَلَمَنى ، وَأرِنى فيهِ ثَأرى».

٣٣ ــ للرعاف : تقرأ وتكتب وتأخذ بأنف المرعوف:

« يا مَنْ حَمَلَ الفيلَ مِنْ بَيْتِهِ الحَرامَ أسْكِنْ دَمَ

فُلانَ بْنَ فُلان».

وتذكر اسمه ، أو يصبّ على رأسه وجبهته ماء الجمد ، فإنّه يسكن بإذن الله.

۳۴ ــ الدعاء لوجع الفم والأضراس : عن أبى بصير ، عن أبى عبد الله (عليه السلام) ، قال : شكى إليه ولىّ من أوليائه وجعاً فى فمه ، فقال : إذا أصابك ذلك فضع يدك عليه وقل:

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ ، بِسْمِ اللهِ الَّذى لا يَضُرُّ مَعَ اسْمِهِ داءٌ ، أعوذُ بِكَلِماتِ اللهِ الَّتى لا يَضُرُّ مَعَها شَىْءٌ قُدُّوساً قُدُّوساً قُدُّوساً ، بِاسْمِكَ يا رَبِّ الطّاهِرِ المُقَدَّسِ المُبارَكِ ، الَّذى مَنْ سَألَكَ بِهِ أعْطَيْتَهُ ، وَمَنْ دَعاكَ بِهِ أجَبْتَهُ ، أسْألُكَ يا اللهُ يا اللهُ يا اللهُ ، أنْ تُصَلِّيَ عَلى مُحَمَّد النَّبىِّ وَأهْلِ بَيْتِهِ ، وَأنْ تُعافِيَنى مِمّا أجِدُ فى فَمى وَفى رَأسى وَفى سَمْعى وَفى بَصَرى وَفى بَطْنى وَفى ظَهْرى وَفى يَدى وَفى رِجْلى وَفى جَميعِ جَوارِحى كُلِّها».

فإنّه يخفّف عنك إن شاء الله تعالى.

۳۵ ــ عن أبى بصير ، عن أبى جعفر الإمام الباقر (عليه السلام) ، قال : شكوت إليه وجع أضراسى ، وأنّه يسهرنى الليل ، قال : فقال لى : يا أبا بصير ، إذا أحسست بذلك فضع يدك واقرأ سوره الحمد وقل هو الله أحد ، ثمّ اقرأ : (وَتَرى الجِبالَ تَحْسَبُها جامِدَةً وَهِيَ تَمُرُّ مَرَّ السَّحابِ صُنْعَ اللهِ الَّذى أتْقَنَ كُلَّ شَىْء إنَّهُ خَبيرٌ بِما تَعْمَلونَ) ، فإنّه يسكن ثمّ لا يعود.

۳۶ ــ لوجع الصدر : (وَإذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادّارَءتُمْ فيها) إلى قوله : (لَعَلَّكُمْ تَعْقِلونَ)[۲۸] ، روى عن أبى عبد الله (عليه السلام) أنّه شكى إليه رجلٌ وجع صدره فقال : استشفِ بالقرآن ، فإنّ الله

عزّ وجلّ يقول : (فيهِ شِفاءٌ لِما فى الصُّدورِ).

٣٧ ــ الدعاء لوجع القلب : تقرأ هذه الآيات على الماء ويشربه : (لَئِنْ أنْجَيْتَنا مِنْ هذِهِ لَنَكونَنَّ مِنَ الشّاكرينَ سَيُهْزَمُ الجَمْعُ وَيُوَلُّونَ الدُّبُرَ بَلِ السّاعَةِ مَوْعِدُهُمْ وَالسّاعَةُ أدْهى وَأمَرَّ إنَّ اللهَ يُمْسِكُ السُّماواتِ وَالأرْضَ أنْ تَزولا وَلَئِنْ زالَتا إنْ أمْسَكَهُما مِنْ أحَد مِنْ بَعْدِهِ إنَّهُ كانَ حَليماً غَفوراً).

٣٨ ــ أيضاً تقرأ هذه الآيات على الماء ، ويشربه ، ويردّد على القلب ، ويكتب أيضاً ويعلّق على عنقه:

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيم ، رَبَّنا لا تُزِغْ قُلوبَنا بَعْدَ إذْ هَدَيْتَنا وَهبْ لَنا مِنْ لَدُنْكَ رَحْمَةً إنَّكَ أنْتَ الوَهّابُ رَبَّنا إنَّكَ جامِعُ النّاسَ لِيَوْم لا رَيْبَ فيهِ إنَّ اللهَ لا يُخْلِفُ الميعادَ ، الَّذينَ آمَنوا وَتَطْمَئِنَّ قُلوبُهُمْ بِذِكْرِ اللهِ ألا بِذِكْرِ اللهِ تَطْمَئِنُّ القُلوبُ الَّذينَ آمَنوا وَعَمِلوا الصّالِحاتِ طوبى لَهُمْ وَحُسْنُ مَآب لَئِنْ أنْجَيْتَنا مِنْ هذِهُ لَنَكونَنَّ مِنَ الشّاكِرينَ».

٣٩ ــ لوجع البطن : عن يونس بن يعقوب ، قال : قلت لأبى عبد الله (عليه السلام) : جعلت فداك ، إنّى أجد وجعاً فى بطنى . فقال : وحّد الله . فقلت : كيف أقول ؟ قال : تقول:

« يا اللهُ يا اللهُ ، يا رَبّى يا رَحْمنُ يا رَبُّ الأرْبابِ ، وَيا سَيِّدَ السَّماواتِ ، اشْفِنى وَعافِنى مِنْ كُلِّ داء وَسُقْم ، فَإنّى عَبْدُكَ وَابْنُ عَبْدِكَ ، أتَقَلَّبُ فى قَبْضَتِكَ».

٤٠ ــ لوجع البطن وغيره من الآلام : يضع يده عليه ويقول سبع مرّات:

« أعوذُ بِعِزَّةِ اللهِ وَجَلالِهِ مِنْ شَرِّ ما أجِدُ».

ويضع يده اليمنى على الألم ويقول : (بسم الله) ثلاثاً.

٤١ ــ لوجع الخاصره : عن حمران ، قال : سأل رجل محمد بن

على الباقر (عليه السلام) ، فقال : يا ابن رسول الله ، إنّى أجد فى خاصرتى وجعاً شديداً ، وقد عالجته بعلاج كثيره ، فليس يبرأ . قال : أين أنت من عوذه أمير المؤمنين (عليه السلام) ؟ قال : وما ذاك يا ابن رسول الله ؟ قال : إذا فرغت من صلاتك فضع يدك على موضع السجود ، ثمّ امسحه واقرأ:

(أَفَحَسِبْتُمْ أ نَّما خَلَقْناكُمْ عَبَثاً وَأ نَّكُمْ إلَيْنا لا تَرْجِعونَ فَتَعالى اللهُ المَلِكُ الحَقُّ لا إلهَ إلاّ هُوَ رَبُّ العَرْشِ الكَريمِ وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللهِ إلهاً آخَرَ لا بُرْهانَ لَهُ بِهِ فَإنَّما حِسابُهُ عِنْدَ رَبِّهِ إنَّهُ لا يُفْلِحُ الكافِرونَ وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ وَأنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمينَ).

قال الرجل : ففعلت ذلك فذهب عنّى بعون الله تعالى.

۴۲ ــ قال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : ينبغى لأحدكم إذا أحسّ بوجع الخاصره أن يمسح يده عليها ثلاث مرّات ، وليقل كلّ مرّه:

« أعوذُ بِعِزَّهِ اللهِ وَقُدْرَتِهِ عَلى ما يَشاءُ مِنْ شَرِّ ما أجِدُ فى خاصِرَتى».

۴۳ ــ لوجع الطحال : اقرأ على كفّه (إذا جاءَ نَصْرُ اللهِ وَالفَتْحُ) ثلاث مرّات ، ثمّ تقرأ (إنَّ الَّذينَ قالوا رَبُّنا اللهُ ثُمَّ اسْتَقاموا)[۲۹] ، إلى آخر الآيه ثلاث مرّات ، ثمّ امسح بهما رأسه سبع مرّات.

۴۴ ــ الدعاء للثالول : عن أبى عبد الله (عليه السلام) ، قال : تمرّ يدك على موضع الثآليل ، ثمّ تقول:

« بِسْمِ اللهِ الرَّحْمنِ الرَّحيمِ ، بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ ، مُحَمَّدٌ رَسولُ اللهِ (صلى الله عليه وآله) ، وَلا حَوْلَ وَلا قُوَّهَ إلاّ بِاللهِ العَلىِّ العَظيمِ ، اللّهُمَّ امْحُ عَنِّى ما أجِدُهُ».

تمرّ يدك اليمنى وترقى عليها ثلاث مرّات.

۴۵ ــ لوجع الظهر

: عن أبی جعفر محمد الباقر (علیه السلام) ، قال : شکی رجل من همدان إلی أمیر المؤمنین (علیه السلام) وجع الظهر وأ نّه یسهر اللیل ، فقال : ضع یدک علی الموضع الذی تشتکی منه واقرأ ثلاثاً : (وَما کانَ لِنَفْس أنْ تَموتَ إلاّ بِإذْنِ اللهِ کِتاباً مُؤَجَّلا وَمَنْ یُرِدْ ثَوابَ الدُّنْیا نُؤْتِهِ مِنْها وَمَنْ یُرِدْ ثَوابَ الآخِرَهِ نُؤْتِهِ مِنْها وسَنَجْزی الشّاکِرینَ) ، واقرأ سبع مرّات (إنَّا أنْزَلْناهُ فی لَیْلَهِ القَدْرِ) إلی آخرها ، فإنّک تعافی من العلل إن شاء الله تعالی.

۴۶ ــ لوجع الفخذین : عن أمیر المؤمنین (علیه السلام) ، قال : إذا اشتکی أحدکم وجع الفخذین فلیجلس فی تور کبیر أو طشت فی الماء المسخّن ولیضع یده علیه ولیقرأ : (أوَ لَمْ یَرَ الَّذینَ کَفَروا أنَّ السَّماواتِ وَالأرْضَ کانَتا رَتْقاً فَفَتَقْناهُما وَجَعَلْنا مِنَ الماءِ کُلَّ شَیْء حَیٍّ أفَلا یُؤْمِنونَ).

۴۷ ــ لوجع الرحم:

« بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ الَّذی بِإذْنِهِ قامَتِ السَّماواتُ وَالأرْضُ ، فَإنَّ مَرْیَمَ بِنْتَ عِمْرانَ لَمْ یَضُرَّها وَجَعُ الأرْحامِ ، کَذلِکَ یَشْفی اللهُ فُلانَهَ بِنْتَ فُلانَهَ ــ یذکر اسمها واسم اُمّها ــ مِنْ وَجَعِ الأرْحامِ وَمِنْ وَجَعِ عِرْقِ الأرْحامِ ، أسْلَمْ أسْلَمْ بِسْمِ اللهِ الحَیِّ القَیُّومِ ، بِسْمِ اللهِ المُسْتَغاثُ بِاللهِ عَلی ما هُوَ کائِنٌ وَعَلی ما قَدْ کانَ وَأشْهَدُ اللهَ عَلی کُلِّ شَیْء قَدیرٌ وَأنَّ اللهَ قَدْ أحاطَ بِکُلِّ شَیْء عِلْماً ...».

۴۸ ــ لکلّ ورم : عن أبی جعفر (علیه السلام) ، قال : قال لی : یا جابر . قلت : لبّیک یا ابن رسول الله ، قال : اقرأ علی کلّ ورم آخر سوره الحشر : (لَوْ أنْزَلْنا هذا القُرْآنَ عَلی جَبَل) إلی آخر السوره واقفل

عليها ثلاثاً فإنّه يسكن بإذن الله تعالى.

۴۹ ـ لوجع الركبه والرجلين : عن أبى حمزه قال : عرض لى وجع فى ركبتى فشكوت ذلك إلى أبى جعفر (عليه السلام) ، فقال : إذا صلّيت فقل:

« يا أجْوَدَ مَنْ أعْطى ، وَيا خَيْرَ مَنْ سُئِلَ ، وَيا أرْحَمَ مَنْ اسْتُرْحِمَ ، ارْحَمْ ضَعْفى وَقِلَّهَ حيلَتى ، وَاعْفِنى مِنْ وَجَعى».

قال : فقلته فعوفيت.

۵۰ ـ لوجع المفاصل : عن يونس بن ظبيان ، عن ابن أبى زينب ، قال : بينا أنا عند جعفر بن محمّد (عليهما السلام) ، إذ أتاه سنان بن سلمه مصفرّ الوجه ، فقال له : ما لَك ؟ فوصف له ما يقاسيه من شدّه الضربان فى المفاصل ، فقال له : ويحك ، قل:

« اللّهُمَّ إنِّى أسْألُكَ بِأسْمائِكَ وَبَرَكاتِكَ وَدَعْوَهِ نَبِيِّكَ الطَّيِّبِ المُبارَكِ المَكينِ عِنْدَكَ (صلى الله عليه وآله) ، وَبِحَقِّهِ وَبِحَقِّ ابْنَتِهِ فاطِمَهُ المُبارَكَهُ ، وَبِحَقِّ وَصِيِّهِ أميرِ المُؤْمِنينَ ، وَحَقِّ سَيِّدَى شَبابِ أهْلِ الجَنَّهِ إلاّ أذْهَبْتَ عَنِّى شَرَّ ما أجِدُهُ بِحَقِّهِمْ بَحَقِّهِمْ بِحَقِّكَ يا إلَهَ العالَمينَ».

فوالله ما قام من مجلسه حتّى سكن ما به.

۵۱ ـ لعرق النساء : عن أمير المؤمنين (عليه السلام) أ نّه علّم رجلا من أصحابه ـ وشكى إليه عرق النساء ـ فقال : إذا أحسست به فضع يدك عليه وقل:

« بِسْمِ اللهِ الرَّحمنِ الرَّحيمِ ، بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ ، أعوذُ بِسْمِ اللهِ الكَبيرِ ، وَأعوذُ بِسْمِ اللهِ العَظيمِ مِنْ شَرِّ كُلِّ عِرْق نَعّار ، وَمِنْ شَرِّ حَرِّ النّارِ».

فإنّك تعافى بإذن الله تعالى ، قال الرجل : فما قلت ذلك إلاّ ثلاثاً حتّى أذهب الله ما بى وعوفيت منه.

۵۲ ـ الدعاء للفالج : عن اسماعيل بن جابر ،

قال : أصابتنى لقوه[۳۰] فى وجهى ، فلمّا قدمنا المدينه ، دخلت على أبى عبد الله (عليه السلام) ، قال : ما الذى أراه بوجهك ؟ قال : فقلت : فاسده الريح . قال : فقال لى : ائتِ قبر النبى (صلى الله عليه وآله) فصلِّ عنده ركعتين ، ثمّ ضع يدك على وجهك ، ثمّ قل:

« بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ بِهذا اخْرُجْ ، أقْسَمْتُ عَلَيْكَ مِنْ عَيْنِ إنْس أوْ عَيْنِ جِنٍّ أوْ وَجَع ، اُخْرُجْ أقْسَمْتُ عَلَيْكَ بِالَّذى اتَّخَذَ إبْراهيمَ خَليلا وَكَلَّمَ موسى تَكْليماً ، وَخَلَقَ عيسى مِنْ روحِ القُدُسِ ، لَمّا هَدَأتَ وَطَفِئْتَ كَما طَفِئَتْ نارُ إبْراهيمَ إطْفَئى بِإذْنِ اللهِ».

قال : فما دعا إلاّ مرّتين حتّى رجع وجهى فما عاد إلى الساعه.

۵۳ ـ الدعاء للحصاه والفالج أيضاً : عن الصادق (عليه السلام) : تقول حين تصلّى صلاه الليل وأنت ساجد:

« اللّهُمَّ إنّى أدْعوكَ دُعاءَ الذَّليلِ ، الفَقيرِ العَليلِ ، أدْعوكَ دُعاءَ مَنِ اشْتَدَّتْ فاقَتُهُ وَقَلَّتْ حيلَتُهُ ، وَضَعُفَ عَمَلُهُ ، وَألَحَّ عَلَيْهِ البَلاءُ ، دُعاءَ مَكْروب إنْ لَمْ تُدْرِكْهُ ، هالِكٌ إنْ لَمْ تُنْقِذْهُ ، فَلا حيلَةَ لَهُ ، فَلا يُحيطَنَّ بى مَكْرُكَ ، وَلا يَبيتُ عَلَيَّ غَضَبُكَ ، وَلا تَضْطَرَّنى إلى اليَأسِ مِنْ رَوْحِكَ ، وَالقُنوطِ مِنْ رَحْمَتِكَ وَطولِ التَّصَبُّرِ عَلى البَلاءِ ، اللّهُمَّ إنَّهُ لا طاقَةَ لى بِبَلائِكَ ، وَلا غِنىً بى عَنْ رَحْمَتِكَ ، وَهذا ابْنُ حَبيبِكَ ، أتَوَجَّهُ إلَيْكَ بِهِ فإنَّكَ جَعَلْتَهُ مَفْزَعاً لِلْخائِفِ ، وَاسْتَوْدَعْتَهُ عِلْمَ ما سَبَقَ وَما هُوَ كائِنٌ ، فَاكْشِفْ لى ضُرّى وَخَلِّصْنى مِنْ هذِهِ البَلِيَّهِ ، وَأعِدْنى ما عَوَّدْتَنى مِنْ رَحْمَتِكَ وَعافِيَتِكَ ، يا هُوَ يا هُوَ يا هُوَ ، انْقَطَعَ الرَّجاءُ إلاّ مِنْكَ».

۵۴ ـ

الدعاء للجذام والبرص والداء الخبيث : عن يونس ، قال : أصابنى بين عينى بياض ، فدخلت على أبى عبد الله (عليه السلام) ، فشكوت ذلك إليه ، فقال : تطهّر وصلِّ ركعتين ، وقل:

« يا اللهُ يا رَحْمنُ يا رَحيمُ ، يا سَميعَ الدَّعَواتِ ، يا مُعْطىَ الخَيْراتِ ، اعْطِنى خَيْرَ الدُّنْيا وَخَيْرَ الآخِرَهِ وَقِنى شَرَّ الدُّنْيا وَشَرَّ الآخِرَهِ ، وَأذْهِبْ عَنِّى ما أجِدُ ، فَقَدْ غاظَنى الأمْرُ وَأحْزَنَنى».

قال يونس : ففعلت ما أمرنى به ، فأذهب الله عنّى ذلك ، وله الحمد.

۵۵ ـ الدعاء للبواسير : عن أمير المؤمنين (عليه السلام) ، قال : مَن عوّذ البواسير بهذه العوذه كفى شرّها بإذن الله تعالى ، وهو:

« يا جَوادُ يا ماجِدُ ، يا رَحيمُ يا قَريبُ ، يا مُجيبُ يا بارِئ ، يا راحِمُ صَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ ، وَارْدُدْ عَلَىَّ نِعْمَتَكَ وَاكْفِنى أمْرَ وَجَعى».

فإنّه يعافى منه بإذن الله عزّ وجلّ.

۵۶ ـ الدعاء للبثر والدماميل والجرب : عن أبى عبد الله (عليه السلام) ، قال : هذه الدماميل والقروح أكثرها من هذا الدم المحترق الذى لا يخرجه صاحبه فى أيّامه ، فمن غلب عليه شىء من ذلك ، فليقل إذا أوى إلى فراشه:

« أعوذُ بِوَجْهِ اللهِ العَظيمِ وَكَلِماتِهِ التَّامَّاتِ الَّتى لا يُجاوِزْهُنَّ بَرٌّ وَلا فاجِرٌ ، مِنْ شَرِّ كُلِّ ذى شَرٍّ».

فإنّه إذا قال ذلك لم يؤذه شىء من الأرواح ، وعوفى منها بإذن الله عزّ وجلّ.

۵۷ ـ الدعاء لوجع الفرج : عن حريز ، قال : حججت فدخلت على أبى عبد الله الصادق (عليه السلام) بالمدينه ، فإذا بالمعلّى بن خنيس (رضى الله عنه) يشكو إليه وجع الفرج ، فقال له الصادق (عليه السلام)

: إنّك كشفت عورتك فی موضع من المواضع ، فأعقبك الله هذا الوجع ، ولكن عوّذه بالعوذه التی عوّذ بها أمير المؤمنين أبا وائله ، ثمّ لم تعد ، قال له المعلّی : يا ابن رسول الله ، وما العوذه ؟ قال : قل بعد أن تضع يدك اليسری عليه:

« بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ ، بَلی مَنْ أسْلَمَ وَجْهَهُ لِلهِ وَهُوَ مُحْسِنٌ فَلَهُ أجْرُهُ عِنْدَ رَبِّهِ وَلا خَوْفٌ عَلَيْهِ وَلا هُمْ يَحْزَنونَ ، اللّهُمَّ إنّی أسْلَمْتُ وَجْهی إلَيْكَ ، وَفَوَّضْتُ أمْری إلَيْكَ ، لا مَلْجَأ وَلا مَنْجَأ إلاّ إلَيْكَ».

ثلاث مرّات ، فإنّك تعافی إن شاء الله تعالی.

۵۸ ــ الدعاء لوجع الساقين : عن سالم بن محمّد ، قال : شكوت إلی الصادق (عليه السلام) وجع الساقين ، وأ نّه قد أقعدنی عن اُموری وأسبابی ، فقال : عوّذهما . قلت : بماذا يا ابن رسول الله ؟ قال : بهذه الآيه سبع مرّات ، فإنّك تعافی بإذن الله تعالی:

(وَاتْلُ ما اُوحِیَ إلَيْكَ مِنْ كِتابِ رَبِّكَ لا مُبَدِّلَ لِكَلِماتِهِ وَلَنْ تَجِدَ مِنْ دونِهِ مُلْتَحداً).

قال : فعوّذتها سبعاً كما أمرنی ، فرفع الله الوجع عنّی رفعاً حتّی لم أحسّ بعد ذلك بشیء منه.

۵۹ ــ الدعاء لوجع العراقيب وباطن القدم : عن الإمام علی بن الحسين (عليهما السلام) : أنّ رجلاً اشتكی إلی أبی عبد الله الحسين بن علی (عليهما السلام) ، فقال : يا ابن رسول الله ، إنّی أجد وجعاً فی عراقيبی قد منعنی من النهوض إلی الغرف ، قال : فما يمنعك من العوذه ؟ قال : لست أعلمها . قال : فإذا أحسست بها فضع يدك عليها وقل:

« بِسْمِ اللهِ وَبِاللهِ ، وَالسَّلامُ عَلی رَسولِ

اللهِ (صلى الله عليه وآله)».

ثمّ اقرأ عليه:

(وَما قَدَروا اللهَ حَقَّ قَدْرِهِ وَالأَرْضُ جَميعاً قَبْضَتُهُ يَوْمَ القِيامَهِ وَالسَّماواتُ مَطْوِيَّاتٌ بِيَمينِهِ سُبْحانَهُ وَتَعالى عَمَّا يُشْرِكونَ).

ففعل ذلک فشفاه الله تعالی.

هـذه جمله من الأدعيه العامّه والخاصّه فی دفع الأمراض ورفع الأسقام صدرت من بيت الوحی والنبوّه ، ولا يخفى أ نّما يلمس الداعی أثرها ويتشافی المريض ـ كما ثبت بالتجربه ـ لمن كان يراعی آداب الدعاء وشرائطه أوّلا ، ثمّ يأتی بالدعاء متيقّناً بلا شکّ وريب ، غير متأثّر بالتكنولوجيا الحديثه والثقافه الغربيه الكافره ، والعلمانيه المقيته والأفكار المنحرفه المسمومه ، فإنّه لا ينفع الدعاء لمن كان شاکّاً ، كما ورد فی الروايات ، بل يدعو ويعتقد أنّ حاجته بالباب قد قضاها الله سبحانه ، كما يشترط ـ فی إجابه الدعاء وتأثيره ـ الإيمان الكامل وعدم النفاق ، فقد ورد فی وجع البطن والقولنج عن عبد الله بن سنان ، عن الإمام جعفر بن محمد ، عن أبيه ، عن جدّه (عليهم السلام) ، قال : شكى رجل إلى النبی (صلى الله عليه وآله) فقال : يا رسول الله ، إنّ لی أخاً يشتكی بطنه . فقال : مُر أخاک أن يشرب شربه عسل بماء حارّ ، فانصرف إليه من الغد ، وقال : يا رسول الله ، قد أسقيته وما انتفع بها . فقال رسول الله (صلى الله عليه وآله) : صدق الله ، وكذب بطن أخيک ، إذهب فاسقِ أخاک شربه عسل وعوّذه بفاتحه الكتاب سبع مرّات ، فلمّا أدبر الرجل ، قال النبی (صلى الله عليه وآله) : يا علی ، إنّ أخا هذا الرجل منافق ، فمن هنا لا تنفعه الشربه.

هذا وما ذكرته إنّما هو

مختصر بعض الأدعيه ، فمن أراد التفصيل لهذه الأوجاع ولغيرها ، ولمثل عسر الولاده ، ولحلّ المربوط ، ولدفع السحر والعين والجنّ والوسواس ورفع الوحشه ، وما شابه ذلک ، فعليه بمراجعه المطوّلات فى هذا الباب ، کبحار الأنوار لشيخنا العلاّمه المجلسى (قدس سره) ، المجلّد ۹۲ ، ففيه ما يشفى العليل ويروى الغليل.

ونختم رسالتنا هذه بدعاء لمولانا الإمام السجّاد زين العبّاد على بن الحسين (عليهما السلام) ، فى صحيفته السجّاديه المبارکه:

کان من دعائه (عليه السلام) إذا مرض أو نزل به کربٌ أو بليّه:

« اللّهُمَّ لَکَ الحَمْدُ عَلى ما لَمْ أزَلْ أتَصَرَّفُ فيهِ مِنْ سَلامَهِ بَدَنى ، وَلَکَ الحَمْدُ عَلى ما أحْدَثْتَ بى مِنْ عِلَّه فى جَسَدى ، فَما أدْرى يا إلهى أيُّ الحالَيْنِ أحَقُّ بِالشُّکْرِ لَکَ وَأيُّ الوَقْتَيْنِ أوْلى بِالحَمْدِ لَکَ ، أوَقْتُ الصِّحَّهِ الَّتى هَنَّأتَنى فيها طَيِّباتِ رِزْقِکَ وَنَشَّطْتَنى بِها لابْتِغاءِ مَرْضاتِکَ وَفَضْلِکَ وَقَوَّيْتَنى مَعَها عَلى ما وَفَّقْتَنى لَهُ مِنْ طاعَتِکَ ، أمْ وَقْتُ العِلَّهِ الَّتى مَحَّصْتَنى بِها وَالنِّعَمِ الَّتى أتْحَفْتَنى بِها ، تَخْفيفاً لِما ثَقُلَ عَلَيَّ مِنَ الخَطيئاتِ ، وَتَطْهيراً لِما انْغَمَسْتُ فيهِ مِنَ السَّيِّئاتِ ، وَتَثْبيتاً لِتَناوُلِ التَّوْبَهِ وَتَذْکيراً لِمَحْوِ الحَوْبَهِ بِقَديمِ النِّعْمَهِ ، وَفى خِلالِ ذلِکَ ما کَتَبَ لِيَ الکاتِبانِ مِنْ زَکِيِّ الأعْمالِ ما لا قَلْبٌ فَکَّرَ فيهِ ، وَلا لِسانٌ نَطَقَ بِهِ ، وَلا جارِحَهٌ تَکَلَّفَتْهُ ، بَلْ إفْضالا مِنْکَ عَلَيَّ وَإحْساناً مِنْ صَنيعِکَ إلَيَّ ، اللّهُمَّ فَصَلِّ عَلى مُحَمَّد وَآلِهِ ، وَحَبِّبْ إلَيَّ ما رَضيتَ لى ، وَيَسِّرْ لى ما أحْلَلْتَ بى ، وَطَهِّرْنى مِنْ دَنَسِ ما أسْلَفْتُ ، وَامْحُ عَنّى شَرَّ ما قَدَّمْتُ ، وَأوْجِدْنى حَلاوَهَ العافِيَهِ ، وَأذِقْنى بَرْدَ السَّلامَهِ ، وَاجْعَلْ مَخْرَجى عَنْ عِلَّتى إلى

عَفْوِكَ ، وَمُتَحَوَّلى عَنْ صَرْعَتى إلى تَجاوُزِكَ ، وَخَلاصى مِنْ كَرْبى إلى رَوْحِكَ ، وَسَلامَتى مِنْ هذِهِ الشِّدَّهِ إلى فَرَجِكَ ، إنَّكَ الْمُتَفَضِّلُ بِالإحْسانِ ، المُتَطَوِّلُ بِالامْتِنانِ ، الوَهَّابُ الكَريمُ ، ذو الجَلالِ وَالإكْرامِ».

---

[۱] الفرقان : ۷۷.

[۲] غافر : ۶۰.

[۳] البقره : ۱۸۶.

[۴] یونس : ۱۲.

[۵] یونس : ۲۲.

[۶] الأنعام : ۶۳.

[۷] السجده : ۱۶.

[۸] النمل : ۶۲.

[۹] الأنبیاء : ۹۰.

[۱۰] الأعراف : ۱۸۰.

[۱۱] الرعد : ۳۹.

[۱۲] البقره : ۲۱۶.

[۱۳] اقتباس من کتابنا « التوبه والتائبون علی ضوء القرآن والسنّه» ، وهو مطبوع ، فراجع.

[۱۴] هذه أربع قصص حول أثر الدعاء فی الشفاء من الأمراض ، ننقلها من کتاب « قصص وخواطر» ، تألیف عبد العظیم المهتدی البحرانی.

[۱۵] قصص وخواطر : ۱۴۵ _ ۱۴۶ ، ۱۵۶ _ ۱۵۷ ، ۳۲۷ و ۴۲۳.

[۱۶] الروایات من میزان الحکمه ۹ : ۱۲۰.

[۱۷] الخصال ، للشیخ الصدوق : ۶۲۵.

[۱۸] مفاتيح الجنان : ۱۳۶ ، فی أعمال رجب.

[۱۹] بحار الأنوار ۹۱ : ۲ ، عن أمالی الطوسی ۱ : ۱۷۵.

[۲۰] المصدر ، عن الاختصاص : ۲۲۳.

[۲۱]ميزان الحكمه ۶ : ۴۱۶.

[

۲۲]لقد تعرّضت إلی موضوع المعرفه بالتفصيل فی « مقام الاُنس بالله» ، و « الإمام الحسين (عليه السلام)فی عرش الله» ، فراجع.

[۲۳]ميزان الحكمه ۶ : ۱۵۵ ، عن الكافی ۸ : ۲۴۸.

[۲۴]البحار ۹۲ : ۸ ، الحديث ۴.

[۲۵]المصدر نفسه.

[۲۶]نقلت الروايات من بحار الأنوار ۹۲ : ۹ ، باب ۵۵ نقلا عن مهج الدعوات ومكارم الأخلاق وطبّ الأئمه وغيرها ، فراجع ، فإنّ الأدعيه والمعوّذات فی هذا المجلّد وغيره كثيره جدّاً.

[۲۷]البحار ۹۲ : ۶۵ ، الباب ۵۹ ، الحديث ۴۰.

[۲۸]البقره : ۷۲ ــ ۷۳.

[۲۹]تمامها : (تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ المَلائِكَهُ ألاّ تَخافوا وَلا

تَحْزَنوا وَأبْشِروا بِالجَنَّهِ الَّتی کُنْتُمْ توعَدونَ) . (فصّلت : ۳۰)

[۳۰]اللقوه (بالفتح) : داء یصیب الوجه یعوجّ منه الشدق إلی أحد جانبی العنق.

تعريف مركز

بسم الله الرحمن الرحيم

هَلْ يَسْتَوِى الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ

الزمر: ۹

المقدمة:

تأسّس مركز القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان بإشراف آية الله الحاج السيد حسن فقيه الإمامى عام ۱۴۲۶ الهجرى فى المجالات الدينية والثقافية والعلمية معتمداً على النشاطات الخالصة والدؤوبة لجمع من الإخصائيين والمثقفين فى الجامعات والحوزات العلمية.

إجراءات المؤسسة:

نظراً لقلة المراكز القائمة بتوفير المصادر فى العلوم الإسلامية وتبعثرها فى أنحاء البلاد وصعوبة الحصول على مصادرها أحياناً، تهدف مؤسسة القائمية للدراسات الكمبيوترية فى أصفهان إلى التوفير الأسهل والأسرع للمعلومات ووصولها إلى الباحثين فى العلوم الإسلامية وتقدم المؤسسة مجاناً مجموعة الكترونية من الكتب والمقالات العلمية والدراسات المفيدة وهى منظمة فى برامج إلكترونية وجاهزة فى مختلف اللغات عرضاً للباحثين والمثقفين والراغبين فيها.

وتحاول المؤسسة تقديم الخدمة معتمدة على النظرة العلمية البحتة البعيدة من التعصبات الشخصية والاجتماعية والسياسية والقومية وعلى أساس خطة تنوى تنظيم الأعمال والمنشورات الصادرة من جميع مراكز الشيعة.

الأهداف:

نشر الثقافة الإسلامية وتعاليم القرآن وآل بيت النبىّ عليهم السلام

تحفيز الناس خصوصا الشباب على دراسة أدقّ فى المسائل الدينية

تنزيل البرامج المفيدة فى الهواتف والحاسوبات واللابتوب

الخدمة للباحثين والمحققين فى الحوازت العلمية والجامعات

توسيع عام لفكرة المطالعة

تهميد الأرضية لتحريض المنشورات والكتّاب على تقديم آثارهم لتنظيمها فى ملفات الكترونية

السياسات:

مراعاة القوانين والعمل حسب المعايير القانونية

إنشاء العلاقات المترابطة مع المراكز المرتبطة

الاجتنباب عن الروتينية وتكرار المحاولات السابقة

العرض العلمى البحت للمصادر والمعلومات

الالتزام بذكر المصادر والمآخذ فی نشر المعلومات

من الواضح أن يتحمل المؤلف مسؤولية العمل.

نشاطات المؤسسة:

طبع الكتب والملزمات والدوريات

إقامة المسابقات فی مطالعة الكتب

إقامة المعارض الالكترونية: المعارض الثلاثية الأبعاد، أفلام بانوراما فی الأمكنة الدينية والسياحية

إنتاج الأفلام الكرتونية والألعاب الكمبيوترية

افتتاح موقع القائمية الانترنتی بعنوان : www.ghaemiyeh.com

إنتاج الأفلام الثقافية وأقراص المحاضرات و...

الإطلاق والدعم العلمی لنظام استلام الأسئلة والاستفسارات الدينية والأخلاقية والاعتقادية والردّ عليها

تصميم الأجهزة الخاصة بالمحاسبة، الجوال، بلوتوث Bluetooth، ويب كيوسك kiosk، الرسالة القصيرة ((sms

إقامة الدورات التعليمية الالكترونية لعموم الناس

إقامة الدورات الالكترونية لتدريب المعلمين

إنتاج آلاف برامج فی البحث والدراسة وتطبيقها فی أنواع من اللابتوب والحاسوب والهاتف ويمكن تحميلها على ٨ أنظمة؛

١.JAVA

٢.ANDROID

٣.EPUB

۴.CHM

۵.PDF

۶.HTML

٧.CHM

٨.GHB

إعداد ۴ الأسواق الإلكترونية للكتاب على موقع القائمية ويمكن تحميلها على الأنظمة التالية

١.ANDROID

٢.IOS

٣.WINDOWS PHONE

۴.WINDOWS

وتقدّم مجاناً فی الموقع بثلاث اللغات منها العربية والانجليزية والفارسية

الكلمة الأخيرة

نتقـدم بكلمـة الشـكر والتقـدير إلى مكاتب مراجع التقليـد منظمات والمراكز، المنشورات، المؤسـسات، الكتّاب وكل من قدّم لنا المساعدة فى تحقيق أهدافنا وعرض المعلومات علينا.
عنوان المكتب المركزى

أصفهان، شارع عبد الرزاق، سوق حاج محمد جعفر آباده اى، زقاق الشهيد محمد حسن التوكلى، الرقم ١٢٩، الطبقة الأولى.

عنوان الموقع : : www.ghbook.ir

البريد الالكترونى : Info@ghbook.ir

هاتف المكتب المركزى ٠٣١٣٤٤٩٠١٢٥

هاتف المكتب فى طهران ٨٨٣١٨٧٢٢ ـ ٠٢١

قسم البيع ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩شؤون المستخدمين ٠٩١٣٢٠٠٠١٠٩.


مركز
القائمية
اصبهان
للبحوث والتحريات الكمبيوترية
للحصول على المكتبات الخاصه الاخرى
ارجعوا الى عنوان المـركز من فضلـكم
www.Ghaemiyeh.com
www.Ghaemiyeh.net
www.Ghaemiyeh.org
www.Ghaemiyeh.ir
و للايصاء من فضلكم
٠٩١٣ ٢٠٠٠ ١٠٩